مكتبة
الأسرة
1999

مهرجان القراءة للجميع

روائع الأدب العالمى للناشئين

حد الموسى

سومرست موم

لوحة للفنان : محمود الهندى

الهيئة المصرية
العامة للكتاب

محمد الموسى

حد الموسى

تأليف : سومرست موم
ترجمة : الشريف خاطر
مراجعة : مختار السويفى

مهرجان القراءة للجميع ٩٩

مكتبة الأسرة

برعاية السيده سوزان مبارك

(سلسلة الأدب العالمى للناشئين)

حد الموسى

تأليف: سومرست موم   ترجمة: الشريف خاطر

الغلاف

والإشراف الفنى:

الفنان: محمود الهندى

المشرف العام:

د. سمير سرحان

الجهات المشاركة:

جمعية الرعاية المتكاملة المركزية

وزارة الثقافة

وزارة الإعلام

وزارة التعليم

وزارة التنمية الريفية

المجلس الأعلى للشباب والرياضة

التنفيذ: هيئة الكتاب

على سبيل التقديم

وتمضى قافلة «مكتبة الأسرة» طموحة منتصرة كل عام، وها هى تصدر لعامها السادس على التوالى برعاية كريمة من السيدة سوزان مبارك تحمل دائمًا كل ما يثرى الفكر والوجدان ... عام جديد ودورة جديدة واستمرار لإصدار روائع أعمال المعرفة الإنسانية العربية والعالمية فى تسع سلاسل فكرية وعلمية وإبداعية ودينية ومكتبة خاصة بالشباب. تطبع فى ملايين النسخ الذى يتلهفها شبابنا صباح كل يوم .. ومشروع جيل تقوده السيدة العظيمة سوزان مبارك التى تعمل ليل نهار من أجل مصر الأجمل والأروع والأعظم.

د. سمير سرحان

المــؤلف
ســومرست مــوم

ولد ســومرست موم فى باريس يوم ٢٥ ينــاير عام ١٨٧٤ ، وكان الابن الســادس لوالده الذى كان يعمل مستشارا فى السفارة البريطانية فى باريس . قضى طفولته فى بيئة فرنسية خالصــة ، وتحدث بلغتها ولم يكن يتكلم الانجليزية الا فى بيت أبيه ، ومن هنا نشأت عقليته على ما تنشأ عليــه عقلية الأطفال الباريسيين .

فى سن الثامنــة ماتت أمه بمرض السل وما لبث أن مات أبوه وهو فى سن العاشرة فكانت هــذه الصــدمة كفيلة بتبديل نظرته الى الحياة . وغادر باريس مهد الطفولة ومرتع لهوه البرىء ، وعــاد الى لندن ليعيش

فى بلده الغريب عنه ويقسم بين أناس لا تربطهم به صلة معرفة أو ود وان كانت تربطه بهم صلة قرابة ودم .

فى لندن قام عمه الفس بكفالته ، وهو رجل متدين يتخذ من الدين صناعة لا يعرفها الصبى الباريسى المتحرر . اقام مع عمه فى حى من أفقر أحياء لندن ، وعانى من شظف العيش فى هذه البيئة المتقشفة . وذاق مرارة الوحدة وبكى باريس وأيامها الحلوة . الحقه عمه بمدرسة كانتبرى الثانوية وهناك عانى من سخرية أساتذته المدرسين وزملائه الطلبة على السواء . فقد كان يحصل على الدرجة النهائية فى اللغة الفرنسية ، بينما يأخذ صفرا فى اللغة الانجليزية التى لم يكن يجيد التحدث بها ، فما بالك بكتابتها والالمام بمصطلحاتها وقواعدها . لم ييأس موم ، بل عكف على هذه اللغة يقرؤها فى الكتب والروايات ويكتب مفرداتها ويرصد شواردها حتى تصبح طيعة له .

بعد اتمام الدراسة الثانوية أشار عليه عمه أن يسافر الى المانيا للدراسة بجامعة هايدلبرج ، فلم

يمانع موم رغبة فى الفرار من لندن ومن انجلترا كلها . وواظب على المحاضرات فترة من الزمن ، لكنه لم يتخرج من الجامعة . لكن هذه الفترة أكسبته وفرة من المعارف والخبرات وازدادت ثقافته نموا .

لكن عمه ظل يلح عليه للالتحاق بكلية عملية ليضمن حرفة توفر له العيش بأمان ، وما زال به حتى التحق بكلية الطب وتخرج فيها . لكنه لم يتخذ له عيادة قط ولم يمارس الطب عقب تخرجه باستثناء تلك الفترة التى قضاها كطبيب امتياز فى مستشفى «لامبث» . كتب فى تلك الفترة أولى قصصه الرائعة « ليزا فتاة حى لامبث » ، تلك القصة التى أعادت له الثقة فى نفسه بوصفه كاتبا يجيد الكتابة باللغة الانجليزية ، هذا بالاضافة الى أنه كتب مسرحية بالألمانية التى أجادها وبرع فيها وأحبها . وتعجب احدى الفرق الألمانية بالمسرحية فتقدمها على أحد مسارح برلين ، ويقبل عليها أهل العاصمة ويعجبون بها . وهنا يتأكد موم من أنه خلق للأدب سواء على مستوى القصة أو الرواية أو المسرحية .

لكن ذكريات طفولته كانت تراوده من حين لآخر ، فازداد ضيقا بما يحيطـه فى حياته بانجلترا وساءت حالته النفسية وبالتالى زادت حالته الصحية سـوءا وتحرك داء صدره القديم وهدده بخطر محدق • نصحه الأطباء بأن يستشفي على البحر المتوسط جنوب فرنسا حيث الدفء وجمال الطبيعة ، فسافر الى هناك وقضى الصيف على رمال الشاطيء مستمتعا بالبحر والنسيم الجـاف النقى الممتع • لكن نفسه أخذت تنازعه الى باريس ، فما أن انتهى موسـم الصيف حتى عـاد مع المصطافين الى باريس •

قضى فى باريس عشر سنوات مارس فيها حياتـه الفنية يكتب القصة والرواية والمسرحية ، وظل يكدح فى هذا المجـال مستلهما مواطن جمال باريس وومضات تألقها الفكرى والروحى • لكن الفنان الأصيل لا يستطيع أن يظل حبيس مكان واحد ، وتاقت نفسـه الى الانطلاق وارتياد مختلف اقطـار العالم والاستمتاع بمشاهدتها والتزود بمعارفها ، خاصـة اقطار الشرق التى يسمع عنها فتهفو نفسه اليها • الشرق الذى وصفته قصص

الف ليلة وليلة بما يحفل به من مادية وخيال وسحر ومغامرات •

وهكذا عمل طبيبا على احدى البواخر المتجهة الى الشرق الأقصى لكى يستعين بالراتب على نفقات الرحلة • ولا ينسى تلك الرحلة الخالدة التى نقلته عبر البحر المتوسط والبحر الأحمر وبحر العرب والمحيط الهندى الى جزر الشرق الأقصى حيث السلام والدعة والحياة فى أحضان المحيطين اللذين لم تتلفهما حضارة أوربا الصناعية الاستعمارية بعد • وهنا شعر موم أن هناك حياة اخرى قد انفتحت أمامه فبدأ يرسم لوحات هذا الجمال الطبيعى التى لم يقدرها أحد ، بعدها بدأ يرسم لوحاته بالكلمات على الورق •

وعندما اشتعلت الحرب العالمية الأولى استدعى موم وعين ضابطا بالمخابرات البريطانية ، هذا الأمر الذى أصاب ضميره بأزمة شديدة ظلت تلازمه لفترة طويلة ، وخلال عمله انتدب لمهمة فى روسيا فانتهز هذه الفرصة لكى يصل سلسلة رحلاته القديمة ويزور

تلك البلاد العريقة التى انجبت جوجول وبوشكين وتولوستوى ودستوفسكى وغيرهم من ملوك القصة وأعلام الأدب الواقعي الذى افتتن به موم · وأيضا لكى يرى بعينيه مقدار السظف الذى كان يعانيه الشعب الروسى فى زمن كانت تولى فيه الحكم حكومة معظم مسئوليها من رجال المخابرات الذين يعملون لحساب القيصر مباشرة · زمن كانت سجون روسيا فيه مكتظة بضحايا لم يكن لهم ذنب الا الحلم بالحرية وبحياة أفضل ·

كانت الرحلة زادا لا ينتهى لقلب الأديب الشاب، فشرع موم فى قراءة كل القصص الروسية لتصبح ذخيرة يضيفها الى ما قرأه من أعمال قصصية للكتاب الفرنسيين ، وعلى رأسهم اميل زولا والأخوين دى جونكور وغيرهم من زعماء المذهب الطبيعى فى فرنسا، اضافة الى ما قرأه لديكنز وفيلدنج وسكوت وهاردى وكونراد وستيفنسون · كما شاهد بعضا من المسرحيات التى تتسم بالصبغة الطبيعية القاتمة ولاحظ وجود

بعض صلات التقارب بين هذه المسرحيات ومبلاتها من المسرحيات الألمـانية الطبيعبة التى كان يقدمها المسرح الالمـاني فى برلين ·

من حلال هذه المحصلة الضخمه التى انعكست فيها أناقة باريس وبراعـة الانجليز وعمق الألمـان وسحر الشرق ، استطاع حوم أن يبتكر لنفسه أسلوبا أدبيـا متميزا · فكتابته تصـوير دقيق واضح القسمات ، أخاذ المشاهد ، ليس فيها حشو أو اختصـار ولا تنقصها الأصـاله او تشـوبه الصنعـة المفتعلة ، ويختـار من الموضوعات ما يلائم موهبتـه التصـويرية ، حتى ان أسلوبه وصف بالسـهل الممتنع ، بمعنى أنه يبلغ من البساطة حدا يجعله أشبه بالحـديث العادى لكنـه اشبه بنظم اللؤلؤ فى صاغته ·

هـذا بالرغم من أنه عاش فى ظل مذهبين أدبيين هامين ، هما المذهب الواقعي والمذهب الطبيعى ، مما حدا بكثير من النقـاد الى عـدم تصنيفه ضـمن مدرسـة ادبية بعينها أو أى مذهب بذاته · وحقيقة هم معذورون

فى هــذا ٠٠ فالرجل متعدد الجوانب جم الانتاج ، فهو على سبيل المثال ظل يمد المسرح من عام ١٩٠٢ حتى عام ١٩٣٧ بمسرحية أو مسرحيتين أو ثلاثا كل عام ٠٠ ولم يكن يتوقف عن كتابة القصــة التى هى ميدانــه الأول ، فكانت تصدر له بالاضافة الى مسرحياته رواية طويلة فى المتوسط كل عام فى هذه الحقبة نفسها ، حتى انقطع لكتابة القصة بعد عام ١٩٣٧ ٠

•

هذه هى أهم الملامح التى يمــكن أن نتعرف من خلالها على الكاتب والأديب « وليم سومرست موم » ٠ كتب موم منــذ عــام ١٩٠٢ وحتى عــام ١٩٣٧ سبعا وعشرين مسرحية اغلبها ملاه خفيفة الا بعض المــآسى ، منها على سبيل المثال مسرحية « الشعلة المقدســة » التى يقتل فيها بطلها المعذب أمه ، ومسرحية « من أجل العــدالة » تلك الميلودراما التي جعل المؤلف أقــوى شخصية فيها تقدم على الانتحار فى آخر المسرحية ٠ لقد كان موم يدور فى معظم اعمــاله حول الحب الخــائن والصبوة الزوجية ونفاق رجال الدين ٠

ومن أهم أعمال موم الروائية ، رواية « أغلال الانسانية » التى قال عنها احد النقاد انها اشبه بالاعمال الكلاسيكية وسط الأعمال الأدبية الحديثة ، وهى أقرب الى تصوير سيرة حياة منها الى القصة وفق مفهومها المتعارف عليه . وترجع أهمية هذه الرواية الى أنها تحلل شخصية المؤلف وتعين القارىء على فهمها . لقد وصف لنا موم حياته الخشنة المريرة التى عاشها فى كنف عمه وعبر عما كان يعانيه من الم وعذاب بسبب عاهته ، وعما كان يداعبه من أمل فى البرء منها . ثم ما كان يصيبه بعد ذلك من خيبة أمل مضنية .

فى عام ١٨٩٧ نشر اول قصة له تحت عنوان « ليزا فتاة حى لامبث » وصور من خلالها حياة الضنك والعوز فى ذلك الحى الفقير ، وسجل فيها خواطره وتجاربه المستخلصة من حياته وهو طبيب امتياز فى مستشفى حى لامبث . لكن اولى قصصه التى فازت بالشهرة والرواج هى قصة « رجل ذو شرف » التى صدرت طبعتها الأولى عام ١٩٠٣ . وما ان انتهت الحرب

العالمية الأولى حتى شرع موم فى كتابة روايتـه الشهيرة « القمر وستة بنسات » وفرغ من كتابتها واصدارها عام ١٩١٩ . وتتميز هذه الرواية بأسـاوبها الحـار الفوق التعبير . ولعل ذلك يرجع الى أن موم عبر فى تلك الرواية عن خوالج نفسه وأمانيها ، بل لعله رسم لنا نفسه من خلال بطل الرواية .

فى رواية « الكعكة والجعة » التى صـدرت عام ١٩٣٠ ، صـور فيها شخصية الكاتب الانجليزى الكبير « توماس هاردى » وفضح أسرار حياته الخاصة وعرض بزوجته الشابة الفاتنـة . وتتعرض الروايـة لكاتب مرموق يتزوج بعد أن تجـاوز سن الكهولة بصبيـة حسناء ، تدلله فى حبها الى حد السماح لها بتحقيق أى رغبة من رغباتها ، تمرح وتستمتع كما تشاء . ورزقت الزوجة بطفل تعلقت به تعلق الأم خالية القلب ، لكن الطفل مات فحزنت عليه حزنا شـديدا وناءت بحزنها الكبـير فراحت تلتمس العـزاء .. ولكن ، كيف كان العزاء ؟ . أسلمت نفسها لأول من صادفت . وسألها

الرجل وهو يهم بالانصراف عنها . « لماذا تخونين زوجك ؟ » . فأجابته في بسمة وامتعاض : « أخون زوجي ؟ ! ... هذه كلمة كدرة ... أنا لا أخون زوجي ، فهو على علم بكل ما أفعل ... فأنا أعترف له بكل شيء !! .. » أما الزوج فيبرر ذلك بأن زوجته الحسناء أشبه بالوردة التي تتفتح للناس . ولا تستطيع ان تضن عليهم بحسنها وعبيرها !! .

لقد حاول موم ان يكون محللا لنفوس البشر من خلال أعماله الروائية ، ناقدا لسلوكهم ، مصورا لحقيقة طباعهم وسجاياهم . ولكن ظروف حياته التى عرضنا لها جعلته لا ينظر الا الى جوانب النقص والعيب والشر فيهم ، ولا يلقى بالا الى جوانبهم الأخرى الطيبة الفاضلة الخيرة ، وهذا ما جعله يبدو متشائما فى أغلب أعماله . واذا اضطر الى الاعتراف بميل بعض النفوس الى الخير والفضيلة . فهو يصور ذلك على أنه حدث عارض لا يلبث أن يتبدد لأنه لن يصمد أمام الشر الذى جبلت عليه نفوس البشر ، أو يصوره على أنه نزعة

عارضة غير طبيعية لا تلبث النفوس بعدها أن تعود الى حالتها الأولى ٠

ولعل خير مثال على ذلك رواية « القناع الخفى »، التى تدور احداثها فى ميناء بالشرق الأقصى والتى تبدأ أحداثها بمشهد مثير ٠ زوجة تخون زوجها فى منزل الزوجية ٠٠٠ كانت مرتمية فى أحضان عشيقها حينما رات ستار الباب يتحرك ، أو خيل اليها أنه يتحرك ، فأفاقت من نشوة الحب ، وافضت الى عشيقها بما رأته ٠ وبرغم فزع العشيق الا أنه راح يطمئنها ويطمئن نفسه بان زوجها لن يعود من رحلته الا بعد ايام وأن ما رأته محض اوهام ٠

كان الزوج قد رآها بالفعل ، وانبأها بأنه كان على علم من قبل بخيانتها ، ولذلك فسوف يسافر متطوعا الى بلاد نائية للمشاركة فى مكافحة وباء انتشر فيها ، فاعترفت له بأنها لم تعد تحبه وأنها تطلب الطلاق ؛ فأخبرها بأنه على أتم استعداد لتطليقها بشرط أن يتعهد عشيقها بالزواج منها بعد طلاقها ٠ طارت

الزوجة الى عشيقها بزف اليه البشرى . لكنها صدمت وكادت تشك فى سمعها عندما سمعته يقول انه لا يستطيع التوقيع على مثل هذا التعهد • عادت الى البيت بجر أذيال الخيبة ، لتكتشف سفر زوجها فتعقد العزم على التكفير عن خطيئتها بالتطوع لمكافحة الوباء ، فاما أن يقضى الوباء عليها فيطهرها الموت من خطيئتها واما أن تناضل مع المناضلين ضد الوباء فيخفف عملها الطيب من فداحة جرمها •

هناك أعرض الزوج عنها ، لكنه بعد توسلاتها واعلان ندمها وقسمها أنها جاءت تنشد الموت لتمحو عارها ، أذعن الزوج لتوسلاتها وعملت معه جنبا الى جنب فى مكافحة الوباء • وحدث أن أصيب الزوج بالوباء فسهرت الزوجة على رعايته ولكن الداء ألح عليه وعز الشفاء ، فقال لزوجته وهو يسلم الروح : « انه يموت راضى النفس ، مستريح البال بعد أن استوثق من توبتها » • وتقسم الزوجة أن تقضي بقية حياتها فى خدمة الخير والفضيلة •

عادت الروجة الى وطنها ، وما ان استقرت فى بيتها حتى فوجئت بزيارة الرجل الذى خدعها وخذلها ، يقبل عليها باسم الثغر مشرق الوجه . وكأنما العلاقة القديمة ما زالت قائمـة دون أن يطرأ عليها ما يعكر الصفو . صرخت المرأة فى وجهـه بأن يبتعـد ولا يدنس المكان بوجوده وأن يخرج على الفور . الا أن الرجل ابتلع اهانته وأقبل عليها وهى تتراجع مذعورة ولامها على سوء لقائها له وأقسم أنه ازداد فى غيبتها تعلقا بهـا ولهفة عليها . كانت تدفعه بعيدا عنها وهو يحاول ضمها وتقبيلها ، وظل النضـال بينهما على أشده ، خوفها يزيدها ضعفا ورغبته المتأججة تزيده قوة وبطشـا . وأخيرا تمكن منها وطوقها بذراعيـه القويتين وضمها الى صدره ، فارتجفت وتخاذلت ... فتمكن ثغره من ثغرها فانهارت البقية الباقية من مقاومتها ... !

وامتدادا لوجهة نظره بتأصل الشر فى البشر سواء بالنسبة للمرأة أو الرجل نجده فى روايته « المطر » ، يقدم لنا نموذجا لرجل يعمل قسيسا كان مسـافرا على ظهر سفينة تمخر المحيط الهادى ، لم يستطع أن

ينسى مهمته حتى أثناء سفره فأخذ ينقل على رفقائـه
بمواعظه . وكان ضمن المسافرين غانية تحترف الرقص
لعلهـا كانت أولى برعايته ، لكنه ازدراها وأشـاح
بوجهه عنها • وحدث أن رست السفينة بأحد موانى
الشرق الأقصى ولم يكن يوجـد سـوى فنـدق واحد
يؤوى كل المسافرين ، وانهمر آنذاك مطر ثقيل فهرع
الجميع الى الداخل . لكن القسيس رفض أن يضمـه
والغانية سقف واحد ، فالشيطان يتقمص جسدها !
وتوسط لديه بعض الحاضرين وقالوا انه يحكم عليها
بالموت اذا تركت تبيت فى العراء تحت وابل المطر المنهمر،
وبعد لأى قبل القسيس أن تبيت ليلتها على أن تبحث
لها فى الصباح عن مكان آخر • جلس القسيس فى البهو
فرشقت عيناه الغانية تروح وتجىء فخفق قلبه لمشيتها
الراقصـة التى زادت قطوف جسـدها حسنا ورواء ،
فتقمص الشيطان جسده هو أيضا ولذعت جوانبه رغبة
ملحة فى لمس هـذه القطوف اليانعـة ولم يستطع كبح
جماح نفسه وأقبل عليها يلاطفها متظاهرا بهدايتها • وفى
الهزيع الأخير من الليل سمع جميع من فى الفندق صراخا

صادرا من غرفة الغانيــة فهرعوا الى مصدر الصوت . فوجدوا باب غرفــة الغانيــة يفتح بعنف ويخــرج منه القسيس مهرولا وهو يحمى رأسه بيديه والغانية من خلفه تضربه وتصيح : « أتدعى الورع وأنت أفســق الفاسقين ، أحط خلق الله أجمعين ؟ ! ... » .

لم يقف « موم » عند حدود نوع معين من الكتابة بل تعدى ذلك الى مجالات أكثر رحابة ونذكر على سبيل المثــال روايته المعروفــة « الرســالة » ، التى تتعرض للعلاقة بين المتحضرين البيض والأجناس الأخرى ويبدى فيها تعاطفه معها . تقع أحداث هذه الرواية فى احدى جزر الهند الشرقية ، وخلاصتها أن امرأة انجليزية قتلت أحد أصدقاء زوجها بينما كان زوجها على سفر ، وادعت فى التحقيق أنه زارها أثناء غياب زوجها وحاول اغتصابها ، فاضطرت الى اطلاق الرصــاص عليــه صونا لعرضها ودفاعا عن شرفها . ويبدو أن هذا التبرير كان مقنعــا بالنسبة للمحقق ، لكن الحقيقة كانت غير ذلك ، فقد كان القتيل عشيقا لهذه الســيدة حيث كانت تلتقى به فى

بيته . وبمرور الأيام فترت العلاقة بينهما وصارحها الرجل ذات يوم بأنه لم يعد يحبها ويريد قطع علاقته بها . حز ذلك فى نفسها ، لكن الذى أطاش صوابها انه استبدل بها فتاة « آسيوية » ! واعتبرت ذلك أكبر اهانة يمكن أن تلحق بسيدة أوربية ، اذ كيف يتسنى لخادمة صفراء قذرة أن تنام فى نفس الفراش الذى كانت ترقد هى فيه ؟ وتحل محلها بين أحضان الرجل الذى تحبه ؟ . وصممت على أن تغسل تلك الاهانة بالدم ، فكتبت اليه رسالة تدعوه فيها الى زيارتها . ونفذت خطتها الجهنمية التى أعدتها وثأرت لكرامتها وقتلت الرجل .

وذات يوم جاءها رسول من قبل غريمتها الآسيوية واخبرها أن الفتاة الآسيوية تحتفظ بالرسالة التى سبق أن بعثت بها للقتيل ، وهى على استعداد لرد الرسالة بشرط أن تأتى اليها بنفسها وتنحنى أمامها وتطلب الرسالة منها جاثية على ركبتيها . وتغلب جبن

السيدة الأوربية على كرامتها المصطنعة ، وذهبت الى المرأة التي تحتقرها وتمقتها وانحنت أمامها مرددة كبرياءها ، وتوسلت اليها أن ترد لها الرسالة ... وهي جاثية على ركبتيها .

وتعتبر رواية « حد الموسى » التي سيلتقي بها القاريء من خلال ترجمتنا لها ، من أهم أعمال موم الأخيرة ، فهي تصور حياة فتى أمريكي ضاق بالحياة المادية المصطنعة في بلاده وتعطشت روحه الى الانطلاق من قيودها الثقيلة المرهقة وتطلعت الى ما وراء سياج ماديتها . فانطلق الفتى مرتحلا في أنحاء الأرض باحثا عن الحقيقة ، راجيا أن يجد فيها راحة البال بعد أن عاني من السأم والضيق ، فسافر الى باريس وتجول في أنحاء اوربا ، لكنه لم يجد ما يشفي ظمأة ويعيد الطمأنينة الى نفسه المعذبة حتى وصل الى بلاد الهند ، وهناك التقى بزاهد حكيم يعيش فوق قمة جبل عال منعزلا

عن الناس ، يقضي وقته في المعبد وفي رياضة الروح .
وتعلم الكثير من هذا العالم عن الفلسفة البوذية
والتصوف ، ووجد فيها ما يشفيه وارتوت نفسه وارتاح
باله . يعود من الهند الى موطنه وقد أصبح انسانا
آخر مختلفا كل الاختلاف عما كان عليه . أحس أن
تطهر من أدران الشر وشفى من داء الحسد وداء
الغرور ، واصبح لا يبالي بحماقات الناس وتفاهاتهم ،
بل يشفق عليهم من تباهيهم رغم عجزهم وضعفهم .

الشريف خاطر

(١)

أصـــدقاء اليـوت

أنا كاتب • شغوف بملاحظة الناس وما يفعلونه في حياتهم • بعض النـاس يعيشـون حيـاة رغـدة ويصبحون مشهورين ، والبعض الآخر لا يعرفه سـوى أصدقائه • وأنا عـادة لا أكتب رواياتي عن أشخاص حقيقيين • لكنني هذه المرة أكتب عن رجل عرفته جيدا منذ عدة سـنوات مضت • كانت حياة هـذا الرجل غريبة جدا ، لكنه لم يصبح مشهورا أبدا •• اسـمه « لورانس داريل » لكن أصدقاءه كانوا ينادونه باسم « لاري » •

حدث أن زرت العديد من الأماكن الفريدة وقابلت

نمــاذج غير عادية من البشر ، لكن « لارى » كان اغرب انسان قابلتــه على الاطــلاق • ربما يكون على قيد الحياة الآن ، أو ربما يكون قد مات ، لكننى اود أن أقص عليكم حكايته ، التى بدأت فى أمريكا •

فى عام ١٩١٩ ، كنت فى زيارة لأمريكا ، وأقمت فى مدينــة شيكاجو لمدة أســبوعين أو ثلاثة • عندما انتهيت من أعمــالى نويت السفر الى الشرق الأقصى •

كان قد صــدر لى حديثا كتاب فى انجلترا حقق لى شــهرة كبيرة ، جعل كثيرا من النــاس فى شيكاجو يودون لقــائى • وكان أحد هؤلاء ثريا أمريكيــا يدعى « اليوت تمبلتون » •

كانت علاقتى باليوت قد توطدت منذ عشر سنوات • ورغم أنه أمريكى الا انه كان عادة ما يقيم فى باريس • كان اليوت ثريا جدا ، ويقول عنه البعض انه نشأ فى أسرة فقيرة ، وهو طويل القامة ويبدو كشخصية هامة جدا ، فدائما ما كان يرتدى ملابس فاخرة ، كما انه كان فى غاية الأدب •

كان من الأثرياء الذين يستمتعون بانفاق أموالهم ، كما كان يحب الحـديث مع الأثرياء واقامـة الكثير من الحفلات والاستمتاع بالطعام الجيد .

كان لاليوت شقة في باريس وأخرى فى لندن ، تزخر كلتاهما بالتحف الجميلة التى كان يشتريها من المدن الكبرى فى أنحاء العالم. كما أنه كان معجبا بالشخصيات الهامة ، وعندما كنت شابا فقيرا لم يكن اليوت يهتم بى ، أما الآن وقد أصبحت مشهورا فقد أسعد اليوت أن أكون صديقا له .

عندما علم اليوم أننى فى شيكاجو سرعان ما اتصل بى تليفونيا فى الفندق الذى أقيم فيه .

قـال لى :

ـ « اننى أقيم هنا عند أختى ، السيدة برادلى . وهى تود رؤيتك . يسـعدنا أن تتناول معنا العشـاء مساء غد . وبالمناسبة يمكنك رؤية ابنتها « ايزابيل » وبعضا من أصدقائها » .

ـ « اشكرك ٠ وكم يسعدنى ذلك كثيرا » ٠
قـال اليوت :

ـ « عظيم ٠ سأتصل بك الساعة الثامنـة من مساء الغد » ٠

كانت هذه هى المناسبة التى قابلت فيها لارى داريـل ٠

مساء اليوم التالى حضر اليوت الى الفندق فى كامل اناقته كالعادة ٠ صافحنى بحرارة ، واقترح أن نتمشى قليلا فى جزء من الطريق ٠

كانت السيدة برادلى شقيقة اليوت ، سـيدة ثرية ، لكن ليس فى ثراء اليوت ٠ وكانت ابنتهـا ايزابيل تعيش معها أما زوجهـا والد ايزابيـل فقد مـات ٠

سألنى اليوت :

ـ « الم تقابل شقيقتى من قبل أبدا » ٠
أجبت :

ـ « كلا ، لأنها لم تحضر معك الى باريس » •

ثم سألته :

ـ « ما هو عمر ابنتها الآن ؟ » •

أجـاب اليوت :

ـ « فى التاسعة عشرة • فتاة جميلة • لكننى لست راضيا عنها » •

ولاحظت أنه متضايق بعض الشيء عندما تحدث عن ايزابيل •

سـألته :

ـ « لمـاذا ؟ ماذا حدث ؟ » •

قـال :

ـ « ارتبطت اخيرا بشاب غير مناسب لها على الاطلاق • وأرى أنها ترتكب خطـأ جسيما • فايزابيل فتاة صغيرة ، لكنها أصبحت حمقاء للغاية » •

قـلت :

ـ « الفتيات يتزوجن فى سن مبكرة هذه الأيام،

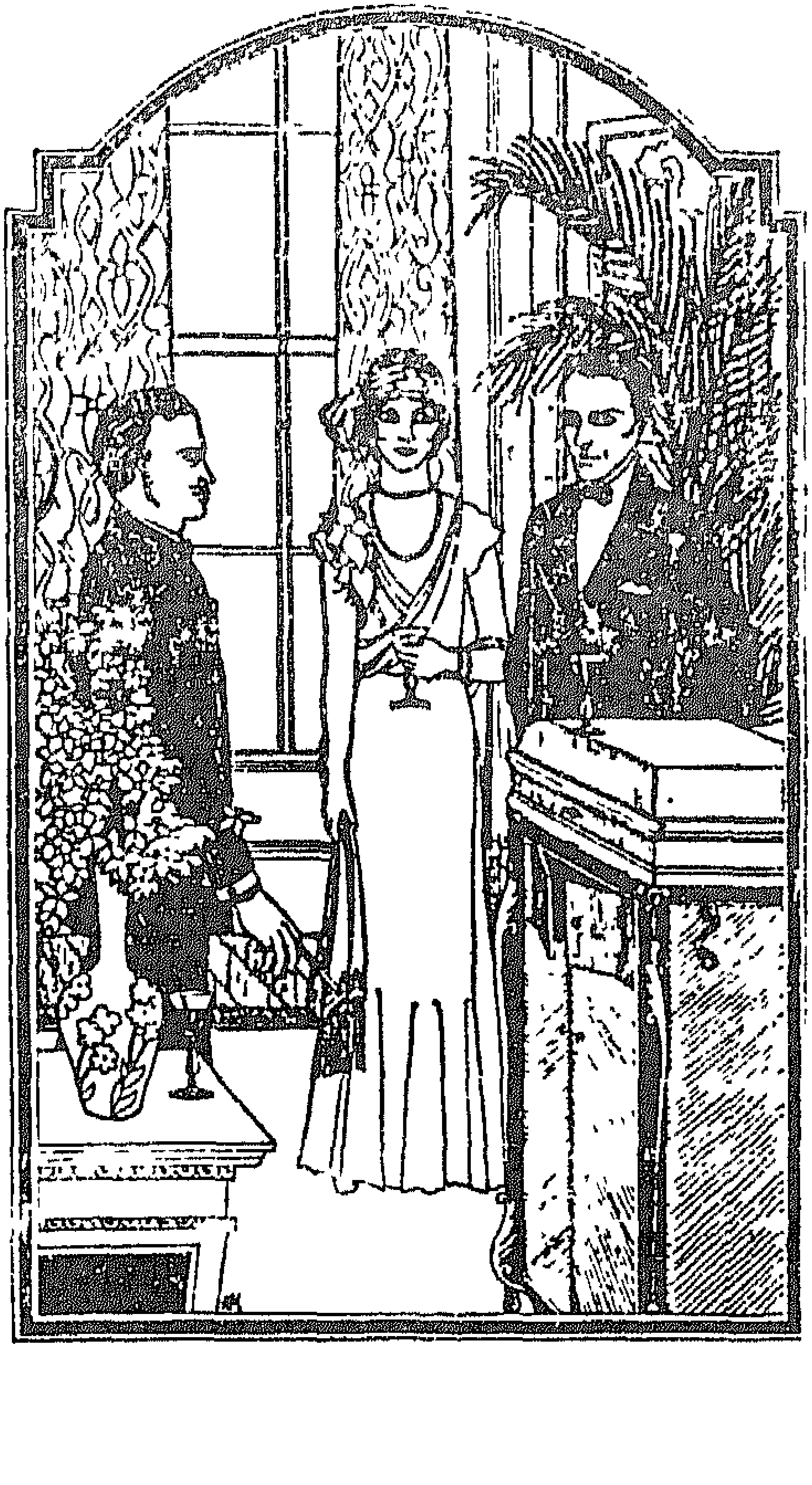

يا اليوت • لكن ما العيب فى هـذا الشـاب ؟ هل تعرفـه ؟ » •

ـ « اسمه لارى داريل ، صحيح أنه ينحدر من أسرة طيبة ، وهو شاب لطيف • لكن ليس لديه مال • فكيف يتزوج ايزابيل وليس لديه نقود ؟ » •

كان اليوت ثريـا جدا ، ولا يستطيع أن يهنـأ بسعادته دون مال ، وبالتـالى كان يتصـور أن كل أصدقائه لا يمكن أن يسعدوا دون مال •

سـألته :

ـ « ألا يستطيع لارى أن يجد عملا ؟ فأنا أعتقد أن أمريكا مكان مناسب لأى شـاب يريد أن يحقـق أمـوالا » •

كان اليوت فى غاية الضيق وتكلم بالكاد •

ـ « حاولنا مساعدته • عرضت على لارى وظيفة عند صديق لى يدعى « ماتيورين » • رجل أعمـال ماهر • لكنه رفض • لو أنه عمل معه فسرعان ما سيكون

معه نقود كثيرة · لكن لارى ليس مهتما بالنقود · أعتقد أنه يستمتع بفعل لا شيء » ·

استدعى اليوت سيارة أجرة · وخلال عشر دقائق كنا قد وصلنا الى بيت شقيقته ، ويقع فى شارع طويل مليىء ببيوتات قديمة ضخمة ، والشارع نفسه فى الحي الثرى من المدينة · دفع اليوت أجرة السيارة وارتقينا درجات سلم البيت ·

قال اليوت :

ـ « سيكون لارى هنا الليلة ، وبالطبع ستقابل ايزابيل · ومعظم الحاضرين أصدقاء ايزابيل · »

فتح أحد الخدم الباب ، ودلفنا الى الداخل · كان البيت دافئا ومريحا · والأثاث من النوع الفاخر الثمين ، والحوائط مغطاة بالصور · ويبدو أننا وصلنا متأخرين بعض الشيء ، اذ أن الضيوف كانوا قد وصلوا بالفعل · كان اغلبهم من الشباب تقريبا ويثيرون شيئا من الجلبة ، ويرتدون ملابس فاخرة مما يدل على أن معظمهم من الأثرياء ·

قادنى اليوت لأتحـدث مع شقيقته ، السـيدة برادلى ، وابنتها ايزابيل • كانت ايزابيل فتاة طويلة القامة ، لطيفة ، شـعرها اسـود ، ووجهها يفيض سعادة وحيوية ، ترتدى فستانا ابيض فى منتهى الأناقة ، لكنه كان يكسبها شيئا من البدانة • كانت تضحـك وتتكلم مع اثنين من الشـبان • حدثنى عنهما اليوت عندما كنا نتجول عبر المكان :

ــ « هذا الشاب الطويل هو « جراى ماتيورين »، والآخر « لارى » •

كان جراى يتسم بالرجولة والرقة ، لكن ليس متأنقا فى ملبسه • ولا يستطيع أن يتوقف عن متابعـة ايزابيل ، فى حين أنها كانت مهتمة بلارى فقط ، الذى كان يقف الى جوارها ولا يتحدث كثيرا • وما ان يبتسم لها حتى تبدو سـعيدة بطريقـة غريبـة ، حتى أننى شعرت بالأسف لها •

سلمت على السيدة برادلى وايزابيل وتفوهت بعدة كلمات قليلة • ثم تطلعت الى لارى بامعان • وحقيقة فقد أعجبت بهذا الشاب •

كان لارى طويلا ونحيفا ، ذا وجه بشوش جدا • شعره بنى وعينـاه داكنتا السـواد • عندما كان لارى يتطلع الى الناس ، كان يبدو عليه أنه يتفهم أفكارهم • اردت أن أتحدث معه ، لكن سرعان ما انتقلنا الى حجرة أخرى لتناول العشاء • لم تسمح الظروف بالجلوس الى جواره ، فلم تتح لى الفرصة للتحدث معه •

جلست الى جوار فتـاة شقراء الشعر خضراء العينين ، حاولت التحدث معها ، لكنهـا كانت خجولة جدا • أخبرتنى بأن اسمها صوفى • وهى تعرف لارى منذ أن كانا طفلين • كانت تتطلع الى كل الموجودين من خلال عينيها الخضراوين بتركيز شديد • وغالبا ما كانت توجه نظرها الى ايزابيل ولارى • وكلما ابتسم كل من ايزابيل ولارى لبعضهما ، كانت صـوفى تكتسى بمسحة من الحزن ، فقلت لنفسى :

ـ « ربما كانت تحب لارى أيضـا ، فهو بالتأكيد شاب يثير الاهتمام » •

بعد تناول طعام العشاء الذى كان جيدا جدا ،

انطلق الشــباب للرقص • وعندما هممت بالعودة الى الفنــدق ، طلب منى اليوت أن أبقى • وبدأ اليــوت ووالدة ايزابيل التحــدث عن لارى وايزابيــل • كان اليوت غاضبا أكثر مما كان عليه أثناء العشاء •

قــال بصوت مرتفع :

ـ « هل تعلم أن لارى رفض استلام الوظيفــة التى عرضها عليه السيد ماتيورين • قال انه لا يريد العمل فى شيكاجو • كما أنه ليس مهتما بجمع المــال على الاطلاق » •

ســألت :

ـ « ما الذى ينوى عمله اذن ؟ » •

أجــاب اليوت :

ـ « لا شيء • لا شيء على الاطلاق • قال لى انه يريد أن يقضى وقته فى التسكع • لا يمكن أن تتزوج ايزابيل شخصا مثل ذلك • ينبغى أن تتزوج جراى ما تيورين ، فهو يحبها ويعمل باجتهاد • وسيصبح رجل

اعمال ناجحا فى الوقت الذى يصير فيه لارى لا شىء

قالت والدة ايزابيل :

ـ « شاب غريب ، لارى هـذا . انا لا أفهمه .
لكن ماذا استطيع أن أفعل ؟ فايزابيل تحبه » .

فقال لها اليوت :

ـ « أمور الزواج لابد أن تتدبرها العائلة » .

كان اليوت يتمسك بالأفكار القديمة ، ولا يستطيع تفهم الشباب وافكارهم المختلفة .

قـلت :

ـ « أعتقد أن ايزابيل ستتصرف كما يحلو لها .
فهى تحب لارى لأنه مختلف عن أصدقائها الآخرين » .

بعد ذلك النقاش غادرت منزل آل برادلى . كان جو تلك الليلة لطيفا فسرت عائدا الى الفندق . أثنـاء سيرى فى الشوارع الخالية ، فكرت فى لارى داريل ، فقد كان شابا متفردا ، ووددت أن أعرف عنه المزيد .

(٢)

رغبة لارى فى السفر

فى صباح اليوم التالى ، استيقظت مبكرا ، وأردت قضاء بعض الوقت فى القراءة فى احدى المكتبات الكبيرة قبل مغادرة شيكاجو .

عندما دخلت لاح لى فى البداية أن المكتبة خاوية ، ثم اكتشفت أن هناك شخصا آخر يقوم بالقراءة . ودهشت جدا عندما اكتشفت أن ذلك الشخص هو « لارى » . وعندما مررت به رفع بصره الى أعلى ، وهكذا سنحت الفرصة للحديث معه .

ـ « صباح الخير يا لارى . لقد دهشت لرؤيتك

هنا فى هـذا الوقت المبكر · ألم ترقص طوال الليـل ؟ الست متعبا ؟ » ·

ابتسم لارى ابتسامة لطيفة ، وقال :

ـ « نعم · ولقد واصلت الرقص مع ايزابيل · ولم اعد الى بيتى الا فى وقت متأخر جدا · لكننى لست متعبا على الاطلاق · تفضل بالجلوس للحظة » ·

رددت عليه :

ـ « شـكرا ، فأنـا لا أريـد ان أعطـلك عن القراءة » ·

ولمـا كنت أتوق لمعرفة الكتاب الذى يقراه لارى، ولم يكن باستطاعتى قراءة عنوانه ، قلت :

ـ « ماذا تقرا لارى ؟ » ·

ناولنى لارى الكتاب دون أن ينطق بكلمة · كان كتابا مهما فى الفلسفة · فدهشت جدا ، فسألته :

ـ « لمـاذا تقرا هذا الكتاب الصعب ، خاصـة

وأنه يتناول مادة ليست سهلة . اذا كنت تريد دراسة الفلسفة ، فلماذا لا تلتحق بالجامعة ؟ » .

اجاب لارى على سؤالى بجدية .

قال :

ـ « انا اريد معرفة كل شيء ، وليس الفلسفة فقط ، كما أنني اود اكتشاف كل شيء بنفسى » .

قلت :

ـ « لكنك صغير جدا . وربما تكون فى حاجة لبعض المساعدة » .

لم يقل لارى شيئا لفترة طويلة . وعندما كنت على وشك الانصراف ، رفع بصره الى أعلى وقال :

ـ « عندما عدت من الحرب ، كان الجميع يريدون منى أن التحق بالجامعة . لكننى خلال الحرب أصبحت رجلا مختلفا . واصبح اصدقائى يبدون اصغر منى بكثير » .

قـلت :

ـ « أعرف ما تقصده · لكن الأساتذة المتخصصون بامكانهم مساعدتك · فربما تقع فى بعض الأخطاء » ·

ابتسم لارى وقال :

ـ « لا يهمنى أن أخطىء · فمن المحتمل اكتشاف المزيد من الأمور اذا وقعت فى خطأ » ·

كان لارى على يقين تماما بأنه يفعل الصواب ·

قـلت له :

ـ « لكن اليوت يعتقد أنك تضيع وقتك ، كما تعرف » ·

ابتسم لارى ثانية وقال :

ـ « أجل ، اعرف ذلك · من المحتمـل أننى أضيع وقتى ، لكننى لا أظن ذلك · فأنا متأكد بأننى أمتع نفسى » ·

لم يكن لارى على استعداد للجدال معى ، فقد

لاحظت أنـه يرغب فى مواصـلة القراءة ، فتركتـــه لشــأنه •

وبعد مرور ســاعة عدت الى ذلك الجـزء من المكتبة ، فوجدت لارى لا يزال يقرأ •• تناولت غدائى وبعد ذلك بفترة طويلة عدت الى المكتبة فترة ما بعد الظهر ، فوجدت لارى مازال على نفس الكرسى يقرأ نفس الكتاب • كان ذلك أسـلوبا غريبا فى تضييع الوقت •

وفى الوقت الذى يعتقد فيه اليوت أن لارى شاب كسول ، فانه فى حقيقة الأمر كان يقوم بعمل جاد • لكن لارى لم يكن يذكر ذلك للناس • فقد كان لا يهتم بما يظنونه عنه •

عندما حـل موعد مغـادرتى لشيكاجو ، ذهبت لوداع السيدة « برادلى » و « اليوت » • فقد كانا فى غاية اللطف معى ، خاصــة وقد قمت بعدة زيارات لمنزل السيدة برادلى • كانت ايزابيل موجودة معهما

عندما دخلت الغرفــة • أحسست انهــا ليست على ما يرام ، كما أحسست أيضا أنها ترغب فى التحدث معى • وبينما كنت اغادر المكان قلت لها :

ـ « ما رأيك فى التمشى معى قليلا ، يا ايزابيل ؟ فالجو اليوم جميل • وكم يســعدنى أن أتمشى مع فتاة جميلة مثلك » •

انفرجت أسارير ايزابيل ، وخــلال دقائق كنا نسير عبر شارع مزدحم • وفجأة تكلمت ايزابيل :

ـ « حقيقــة أنا اود أن أتحدث معك ، دعنــا نجلس فى مقهى بأى مكان » •

وافقت وتوجهنا الى أقرب مقهى وجلسنا وطلبنا قهوة • ظلت ايزابيل صامتة فى البداية ، لكنها تكلمت فى النهاية •

ـ « أنا أريد نصيحتك • فأنت مؤلف ، ولاشــك أنك تتفهم الناس » •

قــلت :

ـ « لا اعتقـد ذلك ، لكننى مغرم بالتعرف على ما يشغلهم • انت قلقة على لارى ، أليس كذلك ؟ هل حدث بينكما شجار ؟ » •

ضحكت ايزابيل وقالت :

ـ « شجار ؟ هل حدث ورأيت لارى غاضـبا بأى حـال من الأحوال ؟ لا أحد يستطيع أن يتشـاجر مع لارى » •

توقفت ايزابيـل عن الكـلام للحظـة ثم قالت بسرعـة :

ـ « لارى يرغب فى السفر » •

اندهشت جدا وقلت :

ـ « السـفر ؟ الى أين ؟ هـل قرر الالتحـاق بالجامعـة ؟ » •

تطلعت الى اصبع ايزابيـل فوجدتها مازالت تلبس الخـاتم الذى أهداه لها لارى • لاحظت ايزابيل نظرتى ، وقالت :

ـ « لارى سيغادر امريكا · ومن المحتمل ان يبقى سنتين بالخـارج ، لكننى سأنتظر عودته · »

سألتها ببطء :

ـ « اترغبين فى سفره » ·

قالت ايزابيل :

ـ « كلا ، كلا بالطبع ، لكننى ابغى سعادته ولا اود أن أكون أنانية » ·

ـ « لا اظن أنك أنانية · بل أعتقد أنك دائما ما كنت انسانة عطوفة جدا ومعطاءة ، يا ايزابيل لكن الى أين سيسافر لارى ؟ » ·

ـ « الى باريس » ·

ـ « باريس ! » · كررتها عدة مرات دون أ تصيبنى دهشــة كبيرة · فقد عشت فى باريس عنده كنت شابا · فهى أنسب مكان يعيش فيه الشباب فمن الممكن أن يتمتع فيها لارى بحريته · وبامكانه أ يدرس ولن يكون فى حاجة لكثير من النقود ·

قلت لايزابيل :

ـ « اعتقد ان لارى سيكون سعيدا فى باريس • لكن ماذا ستفعلين أنت ؟ »•

ـ « ســانتظره حتى يعود • صحيــح أننى اود الزواج من لارى الآن ، لكننى اوده ان يكون ســعيدا كذلك • وانــا عادة ما أحصل على ما أريد • وأنا اريد لارى ، وسوف يعود » •

وتساءلت بينى وبين نفسى • ما هو الشىء الأكثر اهمية بالنسبة للارى ـ حبه لايزابيل أم حاجته للتفكير وقراءة الكتب ؟ ان عامين لا يكفيــان لمعرفة كل شىء • وفكرت كذلك فى جراى ماتيورين ، لأنه من المحتم ان يلازم ايزابيل فى شيكاجو اثناء وجود لارى فى باريس •

جلســنا نتناقش انا وايزابيل لفترة قصيرة فى موضوعات أخرى • وهى فتاة لطيفة جدا ، وكم تمنيت ان تكون سعيدة • لكن لارى كان شخصا يصعب فهمه جــدا •

حان موعد عودتى للفنــدق • ودعت ايزابيــل

وأخذت أراقبهــا وهي تمشي مبتعدة عني • وســألت نفسي • هل ستتزوج ايزابيل من لارى ؟ وهل سيكونان ســعيدين ؟ •

عدت الى الفندق • وخلال ساعات قليلة كنت قد غادرت شيكاجو • وأخذت أفكر فى الناس الذين قابلتهم هناك • وكان أغلب تفكيرى فى لارى ، فقد كان شــابا غريب الشأن • ماذا يمكن أن يحدث له فى باريس ؟ وهل سيجد ما يبحث عنه هناك ؟

لم أجد اجابة لهذه الأسئلة لمدة عام تقريبا !

(٣)

رد ايزابيـــل

في السـنوات التاليـة كنت أعيش في باريس . وكنت سـعيدا لعودتي اليها مرة ثانيـة ، فقد قضيت فيها عدة سنوات سعيدة في شبابي . صحيح انني لم أعد شابا ، لكن لا شيء تغير في باريس .

تجولت على مهل في الشوارع جلست في الحدائق العامـة ، اتطلع الى الطلبـة والأطفـال والشيوخ . الجميع يتكلمون ويستمتعون بأشعة الشمس . عندما شعرت بالتعب جلست على مائدة خارج أحد المقاهي . كان الشارع مزدحما بأناس سـعداء ، والمقاعد خارج

المقاهى مليئة بالشباب ، يضحكون ويتكلمون • كم هم محظوظون بأن يكونوا شبابا ، وفى باريس !

فجـأة سمعت أحدا ينـادى باسمى تلفت حولى بسرعة • رايت رجلا طويلا أسود العينين بنى الشعر • عندما ابتسم تعرفت عليه • اذن مازال لارى فى باريس•

قلت فى دهشة :

ـ « اذن فقد جئت الى هنا أخيرا • ماذا تفعل الآن ؟ اجلس وأحك لى » •

قال لى وهو يجلس :

ـ « أنا لا أعمـل شيئا مفيدا • أحب مراقبـة الناس والتحدث معهم • وبالطبع اقرا كثيرا من الكتب• أقضى معظم وقتى فى المكتبـات • أعيش عيشة فقيرة ، لكنى أستمتع بوقتى » •

سعدت لسماع لارى يتحدث عن استغلال وقته بشكل طيب •

ســـألته :

ـ « هل كتبت ايزابيل لك ؟ » •

فقـــال :

ـ « نكتب لبعضنـــا من حـــين لآخر • ستحضر ايزابيل الى باريس مع والدتها العام القادم • سوف يقيمون مع اليوت • سأستمتع بمصاحبتهم لمشـــاهدة معالم المدينة » •

ســـألت لارى :

ـ « هل ترى اليوت كثيرا ؟ » •

كان اليوت يعرف الكثـــيرين فى باريس ، لكنهم بالطبع من الأثرياء جدا •

ابتسم لارى وقال :

ـ « لقد كتب لى اليوت ذات مرة • دعاني لتناول الغداء معه ، لكنني لم اذهب ، لأن ملابسى ليســـت على ذلك القدر من الأناقة التى تتناسب مع اصدقاء

اليوت الأثرياء . فانا لا اعتقد أننى الشخص الذى يهتمون بمعرفته » .

قلت :

ـ « أعتقد انك على صواب يا لارى . انا لست رجلا ثريا ، فهل تتناول الغداء معى ؟ » .

تناولنا الغداء معا ، ولاحظت أن لارى يتحدث الفرنسية بطلاقة ، وأخبرنى أنه سعيد جدا فى باريس. صحيح أنه كان يرغب فى رؤية ايزابيل ثانية ، لكنه سعيد بدونها .

بعد الغداء تمشينا على مهل فى الشارع لفترة قصيرة ، استأذن لارى بعدها لكى يذهب الى المكتبة المجاورة ، كان لارى يقضى وقته فى باريس بشكل جيد ، وانا متأكد أنه لا يضيعه .

تركت باريس قبل أن تصل ايزابيل ووالدتها . وبعد فترة قابلت ايزابيل فى لندن وحكت لى عما حدث فى باريس .

لاحظت شـيئين على ايزابيـل · كانت ترتدى ملابس فرنسية غالية الثمن ، ولا تلبس الخـاتم الذى اهداه لها لارى ·

سـألتها :

ـ « هـل استمتعت فى باريس ؟ وكيف حـال لارى ؟ » ·

ابتسمت بسعادة وقالت :

ـ « باريس جميلة ، اضافة الى اننى رايت لارى أيضا ·· قابلنا فى المحطة ، وكان اليوت غاضبا بعض الشىء · كان لارى يرتدى ملابس قديمة وهـذا ما جعله لا يقبل أى دعوة من دعوات اليوت · كما أن اليوت لم يكن يعرف حتى أين يقيم لارى.» ·

سـألتها :

ـ « هل كنت ترين لارى كثيرا ، عندما كنت فى باريس ؟ » ·

ـ « بالطبع • وكنا نقضى طيلة اليوم معا • كنا نتمشى خلال الشوارع المزدحمة ونجلس خارج المقاهى ونأخذ فى ملاحظة كل الناس الغرباء الذين وجدوا طريقهم الى باريس » •

سألتها :

ـ « هل قابلت أحدا من أصدقاء اليوت ؟ • لأننى أتصور ان اليوت كان يود أن تقابليهم كذلك » •

ـ « قابلنا أناسا كثيرين لدرجة أننى نسيت أسماءهم » •

وضحكت ايزابيل ثم قالت :

ـ « كان اليوت عطوفا معى للغاية • أعطانى نقودا لأشترى ملابس جديدة • فأصدقاء اليوت أثرياء جدا كما تعرف ، ويلبسون ملابس فاخرة ، وكان هو يريدنى أن البس مثلهم » •

كنت أعرف أن اليوت كريم جدا ، ويجب أن يهدى أصدقاءه هدايا جميلة • وكنت أعرف كذلك انه

كان يود ايزابيل أن تلتقي مع أصدقائه الأثرياء بقدر ما يمكن ، أملا فى أن تنسى لارى . ومن المحتمل أن ذلك قد حدث .

سألت ايزابيل بفضول :

ـ « لكن ماذا عن لارى ؟ وهل قابل كل هؤلاء الأثرياء أيضا » .

قالت ايزابيل وهى تتحاشى النظر الى :

ـ « كان لارى يتواجد معنا فى بعض الأحيان » .

كان هناك سؤال آخر اردت أن أسأله اياها ، فقلت :

ـ « هل عرفتهم أين يسكن لارى ؟ »

علما بأن لارى لم يقل لى أبدا أين يسكن .

بدت ايزابيل حزينة ثم قالت :

ـ « لم يكن لارى يريد أن يخبرنى أين يقيم .

لكننى أجبرته على أن يأخذنى الى حيث يقيم ، وكم حزنت لذلك • فقد كان مكانا فقيرا جدا • غرفة صغيرة تختلف اختلافـا كبيرا عن تلك البيوت الجميلة التى يسكنهـا اليوت وأصـدقاؤه • وفجـأة أيقنت أننى لا استطيع العيش هذه العيشة الفقيرة • فالمنازل الجميلة والملابس الفاخرة هامة بالنسبة لى ، وبالتالى ••• »•

رددت كلمة « وبالتالى » ثم سألتها :

ـ « هل اكتشفت ماذا يفعل لارى ؟ »

قـالت ايزابيل :

ـ « نعم • كما أننى اكتشفت أنه سـعيد دون وجودى معه • وانتابنى اعتقاد أنه يعيش قصـة غرام مع فتاة أخرى » •

قـلت لها :

ـ « أنا متأكد أن لارى يحبى يا ايزابيل » •

قـالت :

ـ « لا أدرى . لكنه لا يرتبط باى فتاة أخرى . فهو يسكن بالقرب من المكتبات الكبرى ويقضى معظم وقته فيها . لارى ماهر جدا . ويستطيع قراءة كتب بعدة لغات الآن . وانتابني اعتقاد بأنه لا يريدني . لذا سألته عما اذا كان قد انتهى من مهمته الآن » .

فابتسم لارى وقال :

ـ « انتهيت ؟ لقد بدأت توا فقط . ولا استطيع التوقف . ربما يستغرق ذلك عشر سنوات حتى اكتشف ما اريد أن اعرفه . لكنني مازلت أرغب فى الزواج منك يا ايزابيل . لماذا لا تعيشين معى هنا فى باريس ؟ » .

تطلعت الى وجه ايزابيل وألقيت نظرة على اصبعها . لم يكن خاتم لارى موجودا . فعرفت ماذا كانت اجابتها .

قلت :

ـ « وبالتالى رفضت أن تنتظرى أكثر من ذلك . وأعدت الخاتم اليه » .

احمر وجه ايزابيل وقالت :

ـ « أنت تعتقد أنني غبية وجشعة ، لكن ما الذى كان فى استطاعتى عمله ؟ فقد اشترى لى اليوت،الملابس الفاخرة وعلمنى حب الأشياء الجميلة ، ولم استطع تصور ان أحياة كفتاة بائسة » .

سألت ايزابيل :

ـ « لكن لارى لديه بعض المال ، اليس كذلك ؟ » .

ـ « لديه ما يكفى لشخص واحد . الرجال يعملون بجد واجتهاد اذا كانت لديهم النية للزواج . لو أننى تزوجت لارى ، فسوف يسخر مني كل الأصدقاء . كما أن اليوت لم يرغب أبدا فى زواجى من لارى » .

قلت بابتسامة :

ـ « اذن ، فاليوت سعيد . لكن هل أنت سعيدة يا ايزابيل ؟ أمازلت تحبين لارى ؟ » .

أجابت ايزابيل بغضب :

ـ « بالطبع مازلت احبــه • لكن الا ينبغى على الشــباب أن يضعوا الحب عادة فى المرتبــة الأولى ؟ وما الذى يتحتم على أن أفعله أنا بينما هو يقضى اليوم بطوله فى القراءة ؟ »

قلت لايزابيل :

ـ « حب المعرفة لبعض الناس أكثر أهمية من حب شخص آخر • وأعتقد أن لارى من ذلك الصنف • وسوف يفعل أى شىء ليصل الى ما يريد معرفته » •

ـ « أى شىء ؟ حتى لو أغضب أصدقاءه ؟ »

ـ « نعم • حتى لو أغضب أصدقاءه • هل تسبب لارى فى تعاستك يا ايزابيل ؟ »

أومأت ايزابيل برأسها وبدت حزينة غاضبة •

قــلت لها :

ـ « أتعرفين ، عندما يرتبط الانســان بحب ، ولا تسير الأمور فى طريقهــا الصحيح ، يعتقد بأنه لن

يعرف السعادة مرة ثانية على الاطلاق • لكنك ستسعدين وانا متأكد من ذلك • سوف تغادرين باريس وتعودين الى شيكاجو ، وسيكون المحيط فاصلا بينك وبين لارى » •

ــ « وهل يحدث ذلك اختلافا ؟ » •

قلت برقة :

ــ « أعتقد ذلك ، حاولى يا ايزابيل » •

غادرت ايزابيل باريس وعادت الى شيكاجو • شعرت بالأسف من أجلها • كانت ايزابيل فتاة عادية ، تريد أن تسعد وتتزوج شأنها شأن صديقاتها فى شيكاجو • فى حين كان لارى شابا غريبا ، لم تستطع ايزابيل أن تفهمه •

وهكذا بقى لارى فى باريس • وكان اليوت يعيش فى باريس ايضا ، لكنه لم يكن يقابل لارى بطبيعة الحال • رأيت اليوت عدة مرات عندما كنت أزور باريس ، لكننى لم أقابل لارى أبدا • ومرت الأيام ولم أر كلا من ايزابيل أو لارى لمدة تقارب عشر سنوات •

(٤)

الالتقاء مع ايزابيل وجراى ثانية

خلال العشر سنوات تلك واصلت السفر حول العالم والفت عدة كتب • التقيت مع أناس جذبوا اهتمامى واستمعت الى حكاياتهم • لكننى لم أنس مطلقا لارى داريل •

كنت اعود الى باريس من حين لآخر ، وغالبا ما كنت أرى اليوت هناك • سألته عن لارى ، لكنه لم يكن يعرف شيئا عنه •

قال لى اليوت :

ــ « من المحتمل أن لارى لا يزال يعيش فى

باريس ، لكننى بالطبع لم أقابله أبدا • وأعتقد انه يعيش حياته بشكل سيىء جدا • وأنا سعيد برفض ايزابيل الزواج منه » •

كنت على معرفة ببعض الفنانين الفقراء فى باريس ، وأحيانا كانوا يخبروننى ببعض الأخبار عن لارى • بحثت عنه فى المقاهى ، لكننى لم أعثر عليه • ربما يكون قد غادر باريس •

لكن ماذا عن ايزابيل ؟ فأنا لم ارها ، لأنها عادت الى شيكاجو • وكم كان اليوت سعيدا وهو يخبرنى بأنها تزوجت جراى ماتيورين ، ابن أحد رجال الأعمال الأثرياء فى العام التالى لتركها لارى فى باريس • وقد حضر اليوت حفل الزفاف ، وأرانى الصور •

قال اليوت :

– « انهما ثنائى فى منتهى السعادة • وأنا سعيد لأن ايزابيل عادت لعقلها أخيرا • أما جراى فهو يعمل باجتهاد وناجح جدا فى عمله • فى يوم من الأيام سوف

يمتلك أعمال والده • ومن ثم ستصبح ايزابيل وجراى من الأثرياء جدا » •

بعد مضى ثلاث سنوات رأيت اليوت مرة ثانية • قـال اليوت :

ـ « جراى وايزابيل لديهما بنتـان الآن • وهو يزداد ثراء كل عام ويشترى الملابس الفاخرة لايزابيل ، ولديها كميـة من المجوهرات • ايزابيل امرأة جميلة ، كما أنهـا هى وجراى فى ريعـان الشـباب وأثرياء ، وبالتالى فهما فى منتهى السعادة الآن » •

رغم تمتع اليوت بثراء بالغ ، الا أنه كان يتقدم فى السن • وكلما كانت السنوات تمر ، كان يخشى أن يهمله أصدقاؤه الأثرياء أصحاب المراكز المرموقة ، لأن هؤلاء الناس يودون أن يكونوا على صلة بالأثرياء من الشباب وليس العجائز من أمثال اليوت •

عندما قابلت اليوت ثانية كان يبدو مكتئبا •

قـال لى :

ـ « لقد تبدلت باريس ، وكذلك لندن . فهاتان المدينتان تمتلئان بأناس يمتلكون أموالا كثيرة ، لكنهم لا ينتسبون الى عائلات كريمة . كل اهتمامهم ينصب على تبادل المصالح وليس الاستمتاع بالحياة أو اقتناء الأشياء الجميلة . يحضرون الى الحفلات التى أقيمها ، لكنهم لا يتقربون الى ، لأننى أصبحت رجلا عجوزا » .

قرر اليوت ان يترك باريس . وأخبرنى أنه سيقيم فى جنوب فرنسا بالقرب من البحر . قال لى :

ـ « منزلى الجديد ليس كبيرا ، لكنه مريح جدا ، وباستطاعتى اقامة حفلات فيه ، لكنى لن أدعو سوى الناس الذين يستمتعون بالحديث معى . سأعيش فى هذا المنزل معظم وقتى تقريبا ، ومن المحتمل أن أقضى شهرين أو ثلاثة من كل عام فى باريس » .

كان اليوت يدرك بحدسه مستقبل منطقة جنوب فرنسا وسرعان ما أصبحت ذات شهرة كبيرة ، والكل يرغب فى أن يكون له بيت هناك ، وهكذا أصبح البوب محاطا بالعديد من الشخصيات ذات الشهرة . وكانت

الحفـلات التي يقيمها ممتعـة جـداً ، والكل سـعداء لتعرفهم على اليوت ٠

فى نهاية عـام ١٩٢٩ ، ذهبت لزيـارة اليوت ٠ وعام ١٩٢٩ ، كان عاما سيئا بالنسبة للأمريكيين ، حيث حلت ازمة اقتصـادية شـديدة فقـد بسببها كثير من الأثرياء ثرواتهم التي تعبوا كثيرا فى جمعها ٠

فجأة تبدلت الظروف وأصبح الأثرياء فقراء خلال يوم واحد ، وكذلك رجـال الأعمـال الذين أصبحوا لا يملكون مالا أو أعمالا ، وشمل ذلك جراى ماتيورين ووالـده ٠

قال اليوت :

ـ « وفجأة داهم المرض والد جراى ومات منذ شهر مضى ٠ وأفلس جراى وايزابيل ، وأضطرا لبيع منزلهما وممتلكاتهما الثمينة » ٠

سـألته :

ـ « وماذا يفعل جراى وايزابيل الآن ؟ » ٠

اجـابني :

ـ « جراى لا يفعل شيئا الآن • وسوف يتركان شيكاجو ليعيشـا فى الريف بهـدوء • كما أن والدة ايزابيل توفيت فى العام المـاضى ، وبالتالى قاما ببيع منزلها • آمل أن يوفق جراى فى الحصـول على عمـل فى القريب العاجل » •

كان من الصعب جدا الحصـول على أى عمل فى أمريكا خلال تلك الفترة الصعبة • شعرت بالأسى من أجل ايزابيل • لقد تزوجت من رجل ثرى ، لكنـه الآن فقير • وشعرت بالأسف أيضا من أجل جراى ، فهو لم يكن صاحب خبرة كبيرة ، رغم أنه كان رجل أعمال ناجح • كان جراى يعشق العمل بلا كلل ، لكنه الآن فقد كل شيء •

لكن الحال لم يكن كذلك بالنسبة لاليوت فمازال ثريا ، وأصبح من الواجب عليه أن يظهر مدى كرمه • عندما قابلته فى زيارة تالية بدا فى منتهى السعادة •

قـــال :

ـ « لقد تنازلت عن شقتى فى باريس لايزابيـل وجراى • سيكونان سـعداء هنـاك مع طفلتيهما • فانا أفضل العيش هنا بالقرب من البحر • وسـوف أقوم بزيارتهما من حين لآخر بالطبـع ، أنا هنـا اشـعر بسعادة كبيرة » •

وحقيقة كان اليوت فى منتهى الكرم • فلم يتوقف عند حب الأثريـاء لكنـه تخطى ذلك بمسـاعدتهم فى محنتهم • رتب لهما كل شىء وقـام بالحـاق الطفلتين بمدرسة راقية فى باريس •

بعد مضى عدة شهور ، قمت بزيـارة لباريس • وعلى الفور اتصلت تليفونيا بايزابيل ودعتنى لتنـاول الشاى عندها بعد الظهر •

لم أكن قد رأيت ايزابيـل منذ عشر سنوات • وتساءلت عما اذا كانت قـد تغيرت • فعندما قابلتهـا فيما مضى كانت شابة يافعة ، أما الآن فهى امرأه ولديها طفلتـان •

عندما سرت فى الغرفـة ، دهشت للغايـة . فقد تغيرت ايزابيل تماما . كانت ترتدى رداء أسود انيقا ونحيفة جدا . ورغم أن وجهها كان أكثر نحافة الا أنه كان أكثر جمالا مما كان عليه من قبل . وأمكنني رؤية بعض المـاكياج على وجهها .

قالت ايزابيل :

ــ « كم هو لطيف أن أراك . سيحضر الأطفـال حالا ، وكذلك جراى » .

قـلت لها :

ــ « كم تبدين جميلة جدا ، يا ايزابيـل . وكم انا سعيد لرؤيتك . لكنك لا تبدين كامرأة فقيرة . »

أجابت ايزابيل :

ــ « بل أبدو كذلك ، فأنا وجراى نعيش فى نفس المستوى الذى كان عليه لارى منذ عشر سنوات . مع الأخذ فى الاعتبـار أننـا أربعـة الآن . أنـا وجراى والطفلتـان » .

تطلعت فى أرجاء الغرفة بتمعن ، فوجدتها مليئـــة بالأشياء الثمينة • كما أن ايزابيل كانت ترتدى فستانا غالى الثمن • كمـــا ان الطفلتين فى مدرســـة متميزة ، ولديها خدم •

كان من الواضح أن اليوت يقدم لجراى وايزابيل ما يكفيهما من نقود ، ولم يكن يسمح لابنة أختـــه ان تصبح فقيرة •

أدركت ايزابيل ما يجول فى ذهنى •

فقـــالت :

ـ « فى الحقيقـــة ان خالى اليوت كريم معنـــا • فجراى لم يعثر على وظيفة بعد • مرض مرضا شديدا عندما فقد أمواله ، ومازال يعانى من صـــداع فظيع • من الصعب بالنسبة له أن يجد عملا » •

قـــلت :

ـ « أنا آسف لسماع ذلك » •

قدمت لى ايزابيل الشــاى ، وبدأنا نتحــدث عن الناس الذين نعرفهم ٠

بعد ذلك قالت ايزابيل :

ــ « هل لديك أى اخبار عن لارى ؟ » ٠

قــلت لهــا :

ــ « لا اعرف اى شيء ٠ هــل تعرفين انت اى شيء ؟ » ٠

قــالت :

ــ « يعنى ، نحن على معرفة بمدير البنــك الذى يتعامل معه لارى فى شيكاجو ٠ احيانا كان لارى يكتب له ليرسل له نقودا ٠ كانت خطاباته ترد من مكان غريب بعيد جدا » ٠

أردت أن أســأل ايزابيل عن شيء آخر ٠

قــلت :

ـ « هل تتمنين الآن ، لو أنك كنت قد تزوجت لارى » ٠

ابتسمت ايزابيل لى وقالت :

ـ « أنا سعيدة جدا مع جراى ٠ فهو لطيف جدا معى ٠ كما أنه يحبنى ٠ ولدينا طفلتان جميلتان » ٠

لاحظت ان ايزابيل لم تجب حقيقة على سؤالى : فلم أتفوه بأى شىء آخر ٠ وما ان قالت ايزابيل ذلك حتى وصل الأطفال ٠٠ طفلتان رقيقتان جميلتـــان ، لكن ليستا فى جمال ايزابيل ٠

عندما دخل جراى الغرفـــة بعد برهة قصـــيرة ، اصبت بدهشة شديدة فقد بدا أكبر من سنه وازداد وزنه بعض الشىء ٠ كمـــا كانت هنـــاك مسحـــة من التعاسة تكسو عينيه ٠ كان صـــوته عاليا ويتحدث فى امور ليست لها أهمية ٠

عندما تركتهما ، طلب منى جراى وايزابيل أن أعاود زيارتهمـــا ٠ لم نتقـــابل بعد ذلك الا عدة مرات

قليلة · أحيانا كنت اقوم أنــا بزيارتهمـا فى البيت ، واحيانا كنا نذهب معا الى المسرح · استمتعت بالفترة التى عشتها فى باريس، واصبح جراى وايزابيـل من افضل الأصدقاء · لكننا لم نتحدث أبدا عن لارى · ولم يكن أحد فى باريس يعرف أين يوجد لارى ·

(٥)

عــودة لارى الى باريس

عشت فى باريس عدة فترات مختلفة من حياتى . عندما كنت شـابا تعرفت على الكتـاب والفنـانين ، أما الآن وقد تقدمت فى السن ، فلدى بعض المعـارف الأثرياء مثل اليوت وبعض أصدقائه .. فى باريس من الممكن أن تجد كل أنواع البشر . منهم من تركوا عائلاتهم ومنهم من هجروا أوطانهم وهـؤلاء يتكلمون لغاتهم مع أصـدقائهم .

ولأننى كاتب ، فقد كانت كل نوعيات البشر تثير اهتمامى . كان الناس يسعدون جدا بالتحدث معى ،

طبا منهم أننى قادر على مساعدتهم ٠٠ انا أحب مراقبة الناس والاصغاء لهم وهم يتحدثون ، وأستطيع تذكر الموضوعات التى سمعتها منذ أربعين عاما ، أحيانا كنت أصغى للشباب يتحدثون عن نفس الموضوعات ، معتقدين أنهم يتحدثون عن أفكار جديدة فى حين أننى سمعتها كلها من قبل ٠

عندما أكون فى باريس ، أستمتع بالجلوس على الموائد الموجودة خارج المقاهى فى الأحياء المزدحمة بالمدينة، حتى يمكننى رؤية الناس وهم يسيرون فى الشوارع ، أحيانا وحدهم ، وأحيانا أخرى مع أصدقائهم ٠ كنت أحب أن أتطلع الى وجوههم وأفكر فى أساليب حياتهم المختلفة ٠

ذات مساء كنت جالسا خارج أحد المقاهى الكبيرة فى وسط باريس ٠ كان الوقت ربيعا ، وهو من أجمل الأوقات فى باريس ٠ كان الجو جميلا ودافئا ، وتبدو

السعادة والحيوية على كل شيء · كان ذهنى صافيــا رداهمنى احساس بأن شيئا مثيرا سوف يحدث حالا ·

مر شاب أمام المــائدة التى أجلس اليها وابتسم لى · كان وجهه بنى اللون من أثر الشمس واســنانه ناصعة البياض وله لحية كثيفة ، وملابسه قديمة وشعره فى حاجة الى القص ·

قـــال :

ــ « هاللو ، الا تذكرني ؟ » ·

أجبتــه :

ــ « أنا لم ارك فى حياتى أبدا » ·

وأعتقدت أن الرجل ربمــا يكون فى حاجة لبعض النقود ، فاستفزنى ذلك · لكنه ابتسم ثانية وقال :

ــ « انــا لارى » ·

تطلعت اليه بتمعن وصحت قائلا :

ــ « لارى ! اجلس وتناول شرابا » ·

لم أكن قد رأيته بلحية من قبل ، وواصلت كلامي :

ـ « لم أتعرف عليك . منذ متى وأنت فى باريس ؟ هل ستبقى هنا ؟ » .

فأجاب لارى :

ـ « أنا هنا لفترة قصيرة . شىء طيب أنك عدت الى باريس ثانيه » .

طلبت فنجانا من القهوة للارى . وأخذت أتطلع اليه بامعان . ورغم أن عينيه كانتا صافيتين لامعتين الا أنه كان نحيفا جدا . وملابسه كانت تبدو مثل ملابس المتسولين . هل فقد كل ماله مثل جراى ماتبورين والغالبية من أثرياء أمريكا ؟ ربما يكون فى حاجة الى مساعدة .

سألته :

ـ « هل فقدت كل نقودك ، يا لارى ؟ فأنا أعرف أناسا حدث لهم ذلك ؟ » .

قـال لارى :

ـ « كلا • لكن لمـاذا تسأل ؟ » •

ضحكت وقلت :

ـ « ينبغي أن تنظر الى نفسك يا لارى • فأنت نحيف جدا • وبالتأكيد أنت فى حاجة لملابس جديدة •• بامكانى أن أقرضك بعض النقود » •

ضحك لارى بطريقته المعهودة التى أعرفها •

وأجـابنى :

ـ « لازال معى نقـود ، لكننى نسـيت كيف أصرفها • فأنا عائد لتوى من الهند ، ولم أكن فى حاجة كبيرة للنقود هناك » •

سـألته :

ـ « ما الذى كنت تفعله فى الهند ؟ هل شاهدت كل المدن القديمة ، والقصور الفخمة » •

ـ « بعضا منهـا . لقد عشت هنـاك خمس سـنوات » .

ثم توقف لارى عن الكلام . وبدا لى أنه لا يريد أن يقول اى شيء آخر . فتطلعت اليه مليـا ، وقلت :

ـ « ايزابيـل فى بـاريس الآن . وهى تقيم فى شقة اليوت » .

فقال لارى :

ـ « تزوجت جراى ، أليس كذلك ؟ » .

انتابنى نوع من السعادة لكونه يعرف ذلك

وقـلت :

ـ « نعم . ولديها طفلتـان جميلتان . وأنا متأكد أنهم يرغبون فى رؤيتك » .

قـال :

ـ « هـذا رائـع . وأنـا كم يسـعدنى رؤيتهم كذلك » .

كان من الواضح أن لارى لم يكن سعيدا بزواج ايزابيل . لكنه كان يرغب حقيقة فى رؤية أصدقائه الاعــزاء .

ســألنى لارى :

ـ « وماذا عن اليوت ؟ هل يقيم معهم ؟ أليس هو فى باريس الآن ؟ فهو يقضى كل ربيع هنا ، أليس كذلك ؟ » .

ـ « كلا ، ليس فى باريس . لقد أعطى سقته لايزابيل وجراى . وهذ أول ربيع منذ أربعين عاما لا يأتى فيه الى باريس » .

ســألنى لارى :

ـ « اذن فهل هو مريض ؟ » .

أجبتــه :

ـ « انه ليس على ما يرام . اليوت الآن فى السبعين من عمره . وهو يكره أن يكون عجوزا ، لأن

أصدقاءه فى باريس يذكرونه بذلك • والشبان يجعلونه يشعر بالأسى ، لأنه ليس شابا مثلهم » •

قــال لارى :

ــ « مســـــكين اليــوت • كان مولعــا بحــب الحفــلات » •

ــ « مازال يلتقى بالكثير من الناس • المهم أنك يجب ان تقــابل ايزابيل وجراى • لكن قبل أن تفعل ذلك ، يمكننى ان أعرض عليك اقتراحا » •

ســـأل لارى :

ــ « ما هــو ؟ » •

ــ « أقترح عليــك أن تحلق ذقنــك ثم تشترى لنفسك بعض الملابس الجديدة • فايزابيل ترغب فى أن يكون أصدقاؤها فى منتهى الأناقة » •

قــال لارى :

ــ « عظيم جدا • غدا سأشترى بدلة جديدة •

لكن هل جراى وايزابيل يحبان باريس ؟ هل هما سعداء هنا ؟ » .

ـ « ايزابيل فى منتهى السعادة ، لكن جراى يبدو تائها هنا . فمنذ أن فقد امواله ، أصبح مكتئبا جدا . ورغم أنه لا يعمل إلا أنه يبدو مرهقا جدا . لكنه هو وايزابيل سعداء جدا » .

قال لارى .

ـ « وأنا سعيد جدا لذلك . أعتقد ان ايزابيل ما زالت كما هى » .

قلت له :

ـ« سوف ترى أنها قد تغيرت » . لكننى لم اخبره بأنها أصبحت امرأة جميلة ، ثم واصلت كلامى :

ـ « كما أنها لطيفة جدا مع جراى . وبدونها كان سيصبح تعسا » .

حل الليل وشعرت بالجوع .

قلت له :

ـ « هيا نتناول العشاء سـويا . فبعض الطعام قد يفيدك » .

فقـال لارى :

ـ « شـكرا لك . فأنـا لست على اسـتعداد الآن » . ثم نهض وابتسم لى بطريقته الودودة .

قـلت لـه :

ـ « لا تنس زيـارة ايزابيـل وجراى . تعرف بالطبع أين يقيمان » .

ـ « لن أنسى ، لكن اعطنى فرصـة لشراء ملابس جديدة » . ودون أن ينطق كلمـــة أخرى ، انصرف لارى .

تذكرت أنه كان دائما يترك أصدقاءه بهذه الطريقة المفاجئة لقد بدا لارى مختلفا ، لكنه لم يتغير كليـة . سعدت برؤيته . وتساءلت عما كان يفعل فى الهند . لم يذكر لى لارى عنوانه . وتعشمت أن أراه مرة أخرى فى القريب العاجل .

(٦)

لارى يساعد جراى

فى اليوم التالى رأيت جراى وايزابيل واخبرتهما بمقابلتى مع لارى . لم نعرف عنه شيئا لفترة من الوقت . وراودنى خاطر انه ربما يكون قد غادر باريس .

ذات مساء ممطر كنت اجلس مع جراى وايزابيل فى شقتهما . كان يوما ثقيلا مملا ، وفجأة دهشنا جميعا وابتهجنا عندما وجدنا لارى يصل فجأة . انتفضت ايزابيل واقفة واندفعت نحوه . ولاحظت انها كانت تريد أن تصرخ من فرط السعادة . وشد جراى على يدى لارى .

وقـــال :

ــ « أنا سعيد لرؤيتك ، يا لارى · دعنا نتناول شرابـا » ·

قــال لارى :

ــ « مجرد فنجان من الشاى » ·

تكلم لارى بهدوء وسرعان ما شرع الجميع يتكلمون عن الأيام الخوالي · كنت مندهشـا تماما من الفرق بين جراى ولارى · فالاثنـان فى نفس العمـر ، لكن جراى كان يبدو أكبر بعشر سنوات من لارى · وزاد وزنه ، كما أن مسحة من الحزن كانت تكسـو وجهه الأحمر وعينيه ·

فى حين كان لارى لايزال نحيفا مثل فتى شاب · بشرته بنية اللون ويتمتع بصحة جيدة ، وعيناه صافيتان كما أنه حـلق لحيتـه وقص شـعره وارتدى ملابس أنيقة ·

قال جراى بصوت عال :

ــ « قل لنا يا لارى عما فعلتــه ! · هل كنت تعيش فى باريس طوال تلك الفترة ؟ » ·

أجــاب لارى :

ــ « كلا · قمت بزيارة المــانيا واسبانيا أيضا · »

ســألته ايزابيــل :

ــ « ما هى الفترة التى قضيتهــا فى أســبانيا ؟ فدائما ما كنت ارغب فى الذهــاب الى هنــاك · كيف ســافرت ؟ » ·

كان جراى وايزابيل يتحدثان كطفلين مبهورين ، وسألا لارى الكثير من الأسئلة · اجاب لارى على بعض اسئلتهم فى هدوء ، بينمــا كان ذهنه شاردا الى بعيد فيما يبدو ·

فى النهاية اخبرهم أنه كان فى الهند لمدة خمس ســنوات ·

سـألته ايزابيل :

ـ « ما الـذى فعلتـه فى الهنـد طيـلة الخمس سـنوات ؟ » .

كان هذا هو السؤال الذى كنت أريد من لارى أن يجيب عليه .

قـال لارى :

ـ « آه ، كنت امتع نفسى ليس الا . سـافرت عبر أرجاء الهند وتعلمت الحديث بعدة لغات هندية . ثم ذهبت الى مكان جميل جدا وسط الجبال ، التى تكسو سفوحهـا أشجار خضراء وتتخللها عدة أنهـار هادئة . عشت هناك مع رجل حكيم . كنـا على بعد اربعة اميـال من أقرب مدينـة . مكثت هنـاك مدة عـامين » .

قالت ايزابيل بصوت عال :

ـ « لمدة سنتين ! ماذا كنت تفعل طوال هاتين السـنتين ؟ »

أجـاب لارى :

ـ « علمنى هذا الرجل الحكيم الكثير من الأمور. كنت اتفكر فى الحيـاة . تعلمت ان أكون هادئا ، وان أصفى ذهنى من كل ما هو تعيس . لقد سـعدت حقيقة بالاقامة مع هذا الرجل » .

أبدى جراى شيئا من عدم الارتياح لعدم فهمه لارى . كما بوغتت ايزابيل ايضا باجابة لارى .

فقـالت :

ـ « لقد وهبت هذا الرجل الحكيم سنتين من عمرك ، فما الذى وهبه لك ؟

قال لارى بابتسامة :

ـ « الهدوء والسكينة » . ثم وقف بطريقتـه الرشيقة وقال :

ـ « يجب أن أنصرف الآن ، يا ايزابيل . لقد استمتعت كثيرا بلقائك أنت وجراى . ولسوف أراكما مرة ثانيـة » .

قــال جراى :

ــ « بالطبع ولابد أن تحضر لتنــاول العشــاء معنا • أخبرنا عن عنــوانك ، وســوف اتصــل بك تليفونيــا » •

قــال لارى :

ــ « لا داعى لذلك • سوف أحضر ثانية خلال يوم أو يومين » •

وكالعادة ، لم يخبرنا بمكان اقامته •

قــلت :

ــ « لدى فكرة • دعونا نتناول العشاء معــا ، مساء غد • فأنا أعرف مكانا رائعــا ، نستطيع أن نجلس فيه تحت الأشــجار ونتنــاول طعاما ممتازا ونتحدث عن الأيام الخوالى » •

وافق لارى ووعد أن يقابلنا هناك •

فقالت ايزابيــل :

ـ « كلا . تعال الى هنا أولا لنتناول شرابا . سوف نلتقى كلنا هنا الساعة الثامنة » .

قــال لارى :

« عظيم جدا . لكن يجب ان أنصرف الآن » .

غادرت الشقة معه ، وسرعان ما قال لى وداعــا وابتعد عن ناظرى . كنت أريد ان اسأل لارى العديد من الأسئلة . عما تعلمــه فى الهنــد ؟ وعن سر تلك السعادة البادية عليه . فربما يخبرنا بالمزيد عن سر تلك السعادة . وانتظرت لقاءه اليوم التــالى بفارغ الصــبر .

عندما قابلنا لارى مساء اليوم التالى حدث شىء غريب جدا لا استطيع تفسيره . ولابد أن احكى لكم عنه ، لأن لارى غير تماما حياة جراى وايزابيل ، فقد منحهما السعادة التى وجدها فى الهند .

وصلت الى شقة جراى قبل الموعد بقليل . فقد كنت أريد ان أرى ما ســوف ترتدى ايزابيل . فأنا

اعلم انهـا لابد ان تبدو فى منتهي الجمـال • فنحن سوف نذهب الى مطعم فاخر • وايزابيل دائما كانت تود أن تبدو بما ترتديه من ملابس ، كأجمـل امرأة فى اى مكان تذهب اليه •

لكن عندما دخلت ايزابيـل الغرفـة حيث كنت أنتظر ، فوجئت بأنها ترتدى فستانا بسيطا جدا •

قـالت :

ــ « انا آسفة • لأننـا لن نستطيع الخروج • فجراى مصـاب بصداع فظيع ، غالبا ما ينتابه فى هذه الآونة ، ويجب أن أبقى معه » •

سـألتها :

ــ « هـل هو فى الفراش ؟ هـل تنـاول أى مسـكنات ؟ » •

ــ « كـلا ، لم يذهب الى الفراش • لكنـه يجلس فى حجرة المكتب ، لدى بعض الأقـراص التى وصفها الطبيب ، لكنها لن تكون ذات جدوى » •

سرنا بهدوء الى داخل حجرة المكتب ، حيث كان جراى يجلس علي كرسى مغمض العينين • كان من الواضح أنه يعانى من ألم فظيع • وبينما كنا واقفين نراقب جراى بأسى ، وصل لارى •

قال بصوت رقيق :

ـ « ربمـا كان فى اسـتطاعتى مسـاعدتك ، يا جراى » •

فرد عليـه جراى :

ـ « شكرا يا لارى ، ليس فى استطاعة أحد أن يساعدنى • أرى أن تخرجوا للعشاء ، وأتركونى هنا• أحيانا اشعر بأن هـذا الألم يكاد يقتلنى • وكم أتمنى أن يحدث ذلك » •

قال لارى بعذوبة :

ـ « أعتقد أنه بامكانى مساعدتك » •

ـ « كيف يمـكن أن تسـاعدنى ؟ هـل أنت طبيب ؟ » واغلق عينيه •

ـ « كلا ، ولكنك أنت طبيب نفسك » .

سـألـه جراى :

ـ « ماذا يعنى ذلك ؟ » .

لم يقل لارى شيئا ، لكنه أخرج قطعة عملة فضية من جيبه ووضعها فى راحة يد جراى .

ثم بدأ يتكلم بهدوء .

ـ « أقبض عليها برقة ، فى الوقت الذى سأعد فيه حتى عشرين . بعدها ستنفرج قبضـة يدك تلقائيا وستقع قطعة العملة على الأرض . »

نفذ جراى ما قاله له لارى . بينمـا أخذت أنـا وايزابيل نراقب بعناية شديدة . وببطء وبينما كان لارى يعد ، انفرجت قبضـة جراى ، وسقطت قطعـة العملة على الأرض . وفتح جراى عينيه باندهاش .

وقـــال :

ـ « إنـا لم افعل ذلك » .

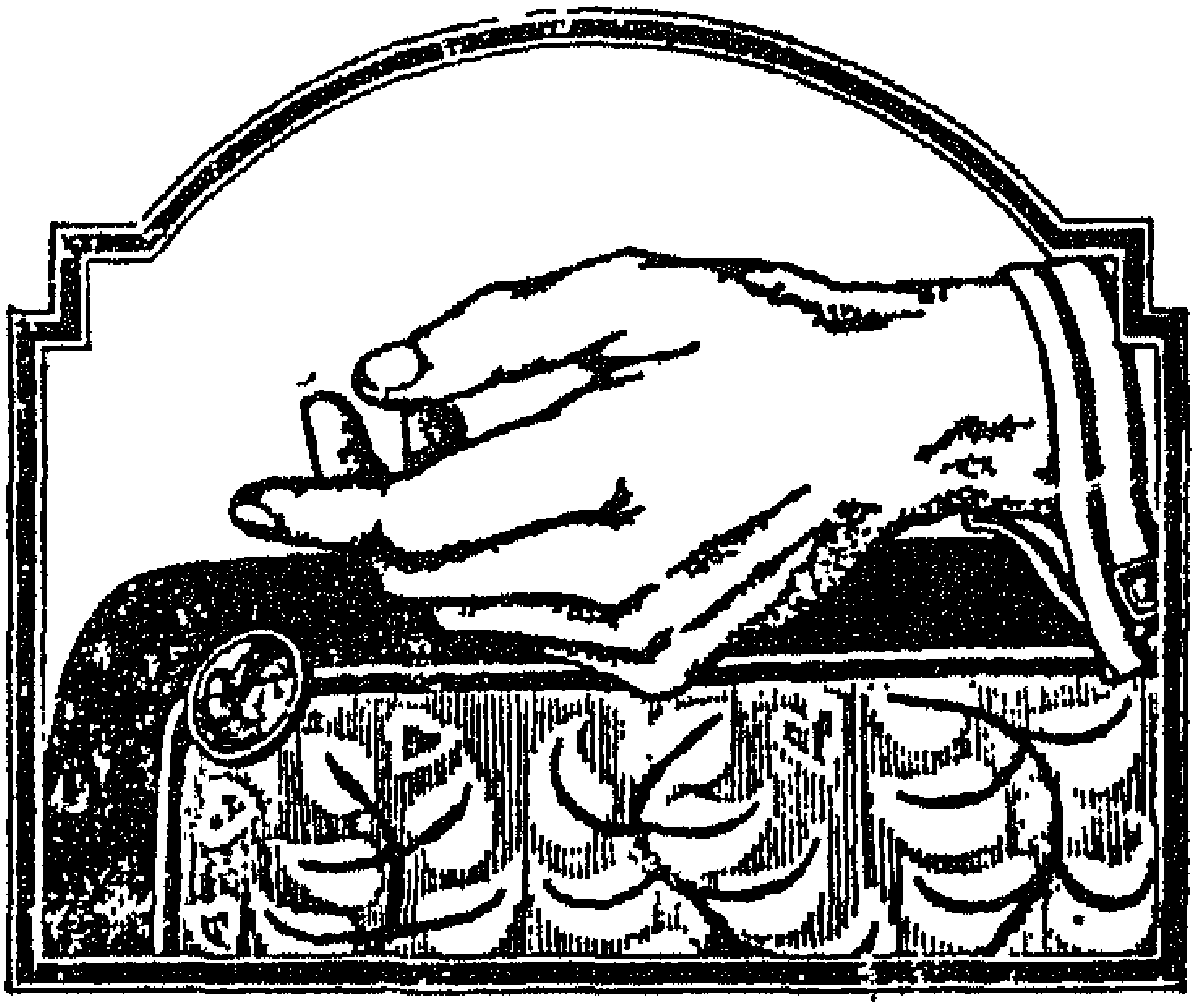

واصل لارى حديثه وقال :

ـ « الآن ، ها هى قطعة العملة · اجلس باسترخاء وأقبض على قطعة العملة مرة ثانية · أغلق عينيك وسوف تنام · بعد ست دقائق سوف نستيقظ · ولن نشعر بالألم مرة ثانية ! »

وتحقق كل ما قاله لارى · عندما استيقظ جراى كان الألم قد زال ·

فقال جراى : « انا أشعر بتحسن هيا يا ايزابيل ارتدى أحسن ملابسك لأننا سنخرج الآن » ·
صاحت ايزابيل :

ـ « هذا شيء رائع يا لارى · هل تعلمت ذلك فى الهند ؟ » ·

قال لارى :

ـ « نعم · والآن أسرعى يا ايزابيل ، فأنا جائع » ·

وهكذا خرجنا كلنا لتناول العشاء · قضينا وقتا

ممتعا ، وحاولت ايزابيـــل أن تعرف المزيد عما فعله لارى ، لكنه لم يخبرها الا بالقليل ٠

قـــال جراى :

ـ « لو أن لارى يستطيع ايقاف هذا الصداع ، فسوف يكون بامكانى ان أعمل ثانية » ثم قال لى :

ـ « هل تعتقد أنه يستطيع ذلك ؟ » ٠

لم أعرف ماذا أقول ، فقد كان من الواضح ان صداع جراى الفظيع قد زال تماما ٠

بعد عشرة أيام أصاب جراى صداع آخر فظيع ٠ ذهب اليه لارى ليراه ٠ فعل نفس ما فعله من قبل ٠ وزال الصـــداع خلال فترة قصيرة ٠ كان جراى سعيدا جدا وشعر بأنه أصغر من سنه بعشر سنوات ٠ وأصبح فى امكانه أن يعمـــل ويحقق حيـــاة أســـعد لايزابيـــل وأطفاله ٠ كان مثل رجل مات ، ثم وهب حياة جديدة٠

(٧)

صوفى ماكدونالد

كانت فترة الربيع التى قضيناها فى باريس من أسعد الفترات بالنسبة لنا · نحن الأربعة · سافرنا الى الأماكن الريفية القريبة من باريس ومتعنا أنفسنا مثل الأطفال · كان جراى قد أصبح على ما يرام أخيرا ، لكنه أراد أن يستمتع بأجازة قبل أن يبدأ العمل · وكان من الجميل أن نرى مدى سعادة جراى ومدى حبه لايزابيل ·

لم يكن لارى يتكلم كثيرا · لكننا كنا نستمتع برؤيته · كان هو وايزابيل على احسن مستوى من

الصداقة • حتى أننى اعتقدت أن ايزابيل نسيت أنها كانت تحبه فى يوم من الأيام • ثم حدث شىء ما ، جعلنى أشعر بالخوف • كان شيئا بسيطا ، لكنه فى منتهى الأهمية كما ستعرفون •

كنا جميعا فى نزهة بالريف ليوم واحد • كان جراى يقود السيارة فى طريق عودتنا الى باريس ولارى يجلس الى جواره ، وأنا وايزابيل فى المقعد الخلفى • التفت لأتحدث مع ايزابيل لكن عندما رأيت وجهها ، توقفت عن الكلام •

كانت ايزابيـل تنظر الى لارى ووجههـا يحمل انطبـاعا مربـكا • كانت نظـرة حب ووله • ومن واشتهاء أيضا • ودون أن تقول لى أى شىء ، كانت ايزابيل قد اعترفت بأنها لا تزال تحب لارى من كل اعماقها • كانت ترغبه من كل قلبها وجسدها ، كان لهذا الاحساس العميق تأثير على وجههـا الجميل ، فاكتسى بمسحة من الانزعـاج • لم يلحظ أحد تلك

النظرة ســـواى · كما أن ايزابيل لم تدرك أننى لمحت نظرتها الى لارى ·

ظلت ايزابيل بقية الرحلة هادئة جدا · وعندما نزلت من السيارة تعلقت بذراع جراى ، كمـــا لو أنها كانت تخفى خجلها من مشاعرها · كنت على يقين من أنها سعيدة فى حياتها العائلية ، وأنها لن تترك جراى أبدا ، لكنهـــا كانت ترغب فى لارى أيضا · ولو حدث ووقع لارى فى حب امرأة أخرى ، فان غيرة ايزابيـــل ستكون فظيعـــة ·

وبعد مضى عدة أيام ، قابلنا صوفى ماكدونالد ·

- هل تذكرون صوفى ؟ انها تلك الفتاة التى قابلتها فى منزل والدة ايزابيل فى شـــيكاجو · فى نفس الليلة التى قابلت فيها لارى للمرة الأولى ·

كانت فتاة هادئة لطيفة ذات عينين خضراوين ، اخذت تنظر الى لارى ليلتها باعجـــاب شـــديد · لم

يدر بخلد أحدنا أن يفكر فيها لمدة سنوات ، ثم حدث ان قابلناها فى باريس • وذلك تفصيل ما حدث •

ذات مســاء كنت أجلس أنــا ولارى عند جراى وايزابيل ، استعدادا للخروج للعشاء •

ســألت ايزابيل :

ـ « الى أين ترّيدين الذهاب يا ايزابيل ؟ »

اجــابت :

« ـ لست ادرى • نحن دائما ما نذهب للأماكن الراقية لتناول العشاء ، ونرى نفس الوجوه • الا يمكن أن نذهب الى مكان شــعبى بســيط ؟ مكان يعــج بالناس ، مكان مختلف » •

قــلت لهــا :

ـ « يمكننى أن آخذكم الى مكان غريب • مكان يمكننا فبه رؤية الفنانين والموسيقيين الفقراء » •

قــالت ايزابيل :

ـ « هـذا ما كنت أقصـده بالضبط • مكان لا نسمع فيه كلمة انجليزية واحدة طوال الليل ! »

ضحك جراى ، لكنه دائما يكون سعيدا لتنفيذ ما ترغب فيه ايزابيل • اما لارى فكان متعودا على مثل تلك الأماكن •

اخذتهم الى عدة مقاه فقيرة ، وبعد فترة وجدنا انفسـنا داخل ماخور تحت الأرض تفوح منه رائحـة الخمر والدخان • وأمكننا رؤية كل النوعيات الغريبة من البشر • بعضهم كان يبدو شرسا حقا • والموسيقى صاخبة وبعضهم يرقص فى مساحـة صغيرة جدا • كان المكان حارا ومعبقا بالدخان ، والرؤية ضبابية •

فجأة جاءت امرأة الى مائدتنا •

قـالت :

ـ « هاللو ، اتتذكروننى ؟ » ثم أطلقت ضحكة رنانة ، وتبين لى انها ثملة • وقفت المرأة تبتسـم لنا جميعا • كانت ايزابيل أول من عرفتها •

ـ « انها صوفى ! صوفى ماكدونالد » ·

فقالت صوفى فى وقاحة :

ـ « ومن غيرها يمكن أن تكون ! هاللو لارى · هاللو جراى · دعونا نتناول شرابا · جرسون · احضر شرابا لأصدقائى الأعزاء » ·

تطلعت الى صوفى · تطلعنا كلنا اليها فى استهجان ·

كانت طويلة ونحيفة جدا · ترتدى ملابس فاقعة الألوان ، لكنها قذرة · وشعرها القصير كان مصبوغا بلون احمر فاقع وتضع كمية من المساحيق على وجهها · وبدت أكبر بكثير من ايزابيل · كل الرجال فى المقهى يعرفونها وكثير منهم كانوا يتصايحون باسمها ·

قالت :

ـ « هيه ، يبدو أنك لست سعيدا لرؤيتى ، يا جراى · كان لابد أن اترك شيكاجو · أنا أحب

باريس أكثر . وأنت يا لارى ماذا عنك ؟ أراك لاتقول شيئا » .

قال لارى :

ـ « ليس لدى ما أقوله . » . ثم نظر الى صوفى ، ليس بغضب ولكن بنوع من الشفقة .

وقف رجل فظ وصاح باسم صوفى . فنهضت وهى تضحك .

وقالت :

ـ « يجب أن أذهب . فأصدقائى بدأوا يغيرون » .

استدارت ومشت وهى ترقص عبر المكان . فصاح عليها الرجل بغضب مرة ثانية .

قالت ايزابيل :

ـ « دعونا نذهب من هنا . فهذا مكان فظيع » تركنا المكان على الفور ، وفى طريق عودتنا الى البيت قالت لنا ايزابيل المزيد عن صوفى :

ـ « تزوجت صوفى من بوب ماكدونالد . كان شابا وسيما . كانا فى منتهى السعادة معا ، حتى ان الناس كانوا يتندرون عليهما . أنجبت صوفى طفلا . وكان الثلاثة سعداء للغاية » .

قال جراى :

ـ « هذا صحيح ولم يكونا ليتركا الطفل أبدا فى البيت ويخرجان بسيارتهما القديمة الى كل مكان » .

قالت ايزابيل :

ـ « ذات ليلة ذهبا الى احدى الحفلات . غادرا المكان مبكرا الى حد ما وكان الطفل معهما . اصطدمت بهم سيارة وقتل كل من بوب والطفل » .

سألتها :

ـ « هل أصيبت صوفى اصابة بالغة ؟ » .

ـ « كلا . لكن عندما أبلغوها بموت زوجها والطفل ، كادت أن تصاب بالجنون . وعندما غادرت المستشفى بدأت تشرب وتعرفت على الكثير من أصدقاء

الســوء . كان لديهــا بعض المــال . لكن سرعـان ما بددتـه » .

ســأل لارى :

ـ « لمــاذا تركت صوفى شيكاجو ؟ » .

ـ « عائلتها طلبت منها أن ترحل . وعدوها بأن يرســلوا لها مبلغا من المــال كل شهر ، على شرط أن تغادر شيكاجو » .

قــال جراى :

ـ « وهكذا وجدت طريقها الى باريس . مسكينة صوفى . أشعر بالأسف من أجلها . »

ردت ايزابيــل :

ـ « أنا لا أشعر بالأسف من أجلها . الحــادث فظيع فعلا . فلو فرض ومات جراى والأطفال ، فلابد أن أحاول العيش بشكل محترم . واذا كانت صــوفى تشرب وتتعرف على أصـــدقاء الســـوء فهـــذه غلطتهــا » .

كانت ايزابيل امرأة قوية تكره الضعفاء • وكانت المصائب تزيدها قوة لا ضعفا •

بعد ذلك بدأ لارى يتكلم • كان يتكلم بهدوء فى الوقت الذى يفكر فيه بصوت عال •

قال :

ـ « اذكر صوفى عندما كانت فتاة • كانت رقيقة جدا وجميلة جدا • كانت تحب القراءة وخاصة الشعر • لدرجة أنها كانت تكتب بعض الشعر لنفسها » •

سألته ايزابيل بشىء من الغضب :

ـ « منذ متى تعرف صوفى جيدا ؟ »

أجاب لارى :

ـ « عندما عدت من الحرب كنت أراها كثيرا • كنا نتحدث معا فى كثير من الأمور • فصوفى تمتلك عقلية متفتحة • وكانت لديها رغبة فى مساعدة كل الناس » •

قالت ايزابيل بنوع من التحامل :

ـ « لكنها تغيرت بالتأكيد . والآن ، دعنى أقل لك شيئا يا لارى . لقد كانت صوفى تحبك . الا تعرف ذلك ؟ »

بوغت لارى بذلك وقال :

ـ « أنا لا أصدقك يا ايزابيل » .

فقالت ايزابيل :

ـ « ان البنات اللاتى يتحدثن عن السعر يفعن الحب بسهولة . دعونا نتوقف عن الحديث عنها فصوفى امرأة سيئة » .

لم يعجب ذلك لارى . لكنه لم يقل شيئا .

بدأ جراى يتكلم عن اجازته ونسينا كل شئ يخص صوفى .

بعد مرور عدة أيام قليلة ، أصطحب جرا وايزابيل طفلتيهما الى البحر . وذهبت أنا لزيا اليوت . وطلب منى ان أخبره عن أحوال الأصدقاء اما لارى فقد قرر البقاء فى باريس فترة الصيف وهكذا ودعنا بعضنا .

(٨)

حـــدث فظيـــع

سافرت الى جنوب فرنســا فى اليوم التــالى • توجهت مبـاشرة الى منزلى الكائن على الســاحل • وبعد عدة أيام من الراحــة ، ذهبت الى اليوت لكى انقل له كل اخبار أصدقائه فى باريس •

كان اليوت قد سافر الى عدة أماكن خلال فصل الربيع ، فبدا أكثر ارهاقا وأكثر تقدما فى السن •

قــلت لاليوت :

ــ « أعتقد أنك ستستريح هنا فترة الصيف »•

قــال :

ـ « أسنريح ؟ كيف يتسنى لى أن أستريح ؟ باريس ترهقنى الآن · لكن مازال فى استطاعتى أن اذهب الى الحفلات هناك · لابد أن أشارك فى عدة حفلات كبيرة هذا الصيف · الناس يدعونني للحفلات · ويتحتم على ان أذهب ، وبالتالى ينبغى على أن ادعوهم لحفلات فى بيتى » ·

ـ « لكنك خرجت خمس مرات الأسبوع الماضى، يا اليوت · لماذا لا تقلل من الذهاب للحفلات ؟ ولابد أن يدرك الناس ذلك » ·

ـ « يدركون ؟ بالطبع ، يدركون أننى أتقدم فى السن · لو أننى توقفت عن رؤية أصدقائى ، فسرعان ما سوف ينسوننى » ·

قلت لنفسى :

ـ « اذن فهم ليسوا أصدقاء مخلصين » · لكننى لم أقل ذلك لاليوت ، ولم اسخر منه كذلك · فسوف يأتى يوم يمرض فيه اليوت مرضا شديدا ، وهو الآن رجل عجوز ·

قلت لنفسى :

ـ « أعتقد أنه يفضل الموت على ألا يدعى لحفل من الحفلات . مسكين اليوت . هو يعتقد أنه سعيد لكنه فى الحقيقة خائف جدا » .

فى نهاية فصل الصيف أراد اليوت رؤية جراى وايزابيل فى باريس . كنت ذاهبا الى لندن ، لكن اليوت طلب أن يرافقنى فى السيارة وأذهب معه الى باريس . قدت السيارة بسرعة معقولة . كان اليوت يعرف افضل الأمكنة التى يمكن الاستراحة فيها ، وكذلك افضل ما يؤكل . كان الريف جميلا واستمتعت بحكايات اليوت طوال الطريق .

عندما وصلنا الى باريس توجهت الى فندقى . أما اليوت فكان يقيم فى فندق آخر كبير . كانت ايزابيل على علم بموعد وصولنا الى باريس ، فوجدت رساله منها فى الفندق . فتحتها ، كانت رسالة غريبة جدا ، وقرات هذه الكلمات : « أرجو الحضور بسرعة قدر

الامكان . لا تحضر الخـال اليوت معك . فقد حـدث شيء فظيع » .

ماذا يكون قد حدث ؟ ربما يكون جراى مريضا . فتوجهت الى شقة ايزابيل بأسرع ما يمـكن . كانت ايزابيل فى انتظارى وحدها .

سـألت :

ـ « ماذا حدث ؟ هل جراى مريض ، أم احدى الطفلتين ؟ »

نهضت ايزابيل واقفة .

وقـالت :

ـ « سوف يتزوج لارى من صوفى ماكدونالد » .

ـ « صـوفى ؟ »

ـ « نعم ، تلك المرأة البشعة التي قابلناها فى المقهى » .

سألتها وأنا لا أصدق :

ـ « كيف عرفت ؟ »

أجـابت :

ـ « عرفت ، لأن لارى هو الذى أخبرنى · انه مغفل · رغم أننى قلت له انها امرأة سيئة بالفعل » .

ـ « وماذا قال ؟ » ·

ـ « طلب منى ان أكون لطيفة معها · ! أنا ! أنا احب لارى ، وقد احببته طوال حياتى · ولا ينبغى أن يتزوج صوفى » ·

سـألتها :

ـ « لمـاذا ؟ فأنت لا تستطيعين الزواج من لارى · لديك زوج طيب ، فلماذا لا يكون لصـوفى زوج طيب أيضـا » ·

ـ « لمـاذا ؟ · لأن صوفى امرأة سيئة · لابد أن تتحدث مع لارى · قل له انه سيفسد حياته » ·

ـ « انا لا أستطيع أن أفعل ذلك · سيقول لى

لارى هـذا ليس من شأنك • وهناك احتمال أن نتوقف صوفى عن الشراب عندما تتزوج لارى » •

ــ « هذا ما يقوله لارى • وأنا لا أصـدقه • ان صوفى امرأة شيئة ، وستظل امرأة سيئة » •

قـلت :

ــ « من حق لارى أن يختـار لنفسه • لديك جراى • دعى لارى يتزوج صوفى » •

صرخت ايزابيل :

ــ « أنت تغضبنى • لقد تركت لارى لأننى اردت أن يـكون حـرا • والآن ستجعل صـــوفى من لارى سجينـا » •

ــ « هذا ليس صحيحا • لقد تركت لارى لأنه لم يكن ثريا بما فيه الكفاية ليناسبك يا ايزابيل • هذه هى الحقيقـة » •

وصلت ايزابيل فى تلك اللحظة الى قمة غضبها ،

فالتقطت طبقا من على المـائدة وقذفتنى به • فأمسكت به ، فأثارها ذلك أكثر •

صرخت :

ــ « أخرج ، لا اريد رؤيتك مرة ثانية » •

قلت بهدوء :

ــ « أنا آسف لسماع ذلك • ولأنك جميلة جدا ، فأنا أستمتع بالنظر اليك » •

هــدأت ايزابيل بعد ما قلت لها ذلك ، لكنهـا كانت لا تزال غاضبة جدا •

قـالت :

ــ « لا يمكن للارى أن يقع فى حب تلك المرأة • أنا لا أتصــور ذلك » •

قـلت :

ــ « انا لا أعتقد ان لارى يحب صوفى ، لكنـه

يشفق عليها . انه يريد أن ينقذها من حياتها الصعبة . وهو يرغب فى ذلك أكثر من أى شىء آخر فى العالم » .

قالت ايزابيل وهى تبكى :

ـ « أنا أريد لارى . سيصبح تعسا . لا يمكن أن يتزوج امرأة مثل صوفى . أنا اشعر بالحزن من أجـله » .

سـألتها :

ـ « هل تشعرين بالحزن من أجل لارى ، أم من أجل نفسـك ؟ اسمعى ، خذى هذه النصيحة . اذا كنت لا تودين فقد لارى ، عليك باقامة علاقة صـداقة مع صوفى . هى فى حاجة لملابس جديدة . اذهبى معها لشرائها . كونى عطوفـة معها . وسـوف يسعد بك لارى . أطلبى من صوفى أن تحضر للغداء معقول كذلك لارى » .

ظلت ايزابيل صامتة للحظة ، كانت تفكر بامعان . واخيرا قالت :

ـ « قم أنت بدعوة صوفى ولارى للغداء ٠ ومن ثم نلحق بكم انا وجراى ٠ يمكننا ان نتناول الطعام فى فندق كبير » ٠

وهكذا اتصلت بصوفى ، فوافقت هى ولارى لتناول الغداء معى فى اليوم التالى ٠ وضعت سماعة التليفون وتطلعت الى ايزابيل ٠ كانت هناك نظرة غريبة فى عينيها ٠

سالتها :

ـ « فيم تفكرين ؟ هل تخططين لشىء ما ؟ »

قلت ذلك لأننى أعرف ان ايزابيل امرأة ذكية ٠ وعندما ترغب فى شىء ، كانت تحصل عليه بطريقتها ٠

ابتسمت ايزابيل وقالت :

ـ « أفكر فى الملابس التى سأرتديها ، وفيما سوف ترتديه صوفى ٠ وأرجو الا تضع الكثير جدا من المساحيق على وجهها ! » ٠

(٩)
هـــروب صـــوفى

فى اليوم التالى التقينا بأحد الفنادق الكبيرة . كانت ايزابيل وجراى أول من وصل . بدت ايزابيــل فى منتهى الجمال بفستانها الأسود والقبعة الأنيقة التى تضعها على راسها ، فقد كانت تعرف دائما كيف تنتقى ما يناسبها من ملابس كى ترتديها .

بعد خمس دقــائق وصــل لارى ومعــه صــوفى ماكدونالد . أصابنى نوع من عدم الارتياح عندما رأيت صــوفى . كانت ترتدى فستانا جديدا ، لكنهــا بدت شاحبــة وأكبر سنا . شــعرها غير مصفف وبشرتها مجهدة . ورغم أن كل ملابسها جديدة ، الا أنها لم تكن

مناسبة لها · تطلعت ايزابيل الى صوفى بعين فاحصة ، وتأكدت أنها تبدو أكثر جمالا منها ·

قــلت :

ـ « اتشربين شيئا يا صوفى ؟ »

اجـابت :

ـ « كلا · شـكرا » · ولم نشرب هى أو لارى اى شىء ·

بعد ذلك وصل اليوت الى القاعة الطويلة التى كنا نجلس فيها · عرفه الجميع وكان سعيدا لرؤية العديد من أصـدقائه ·

جلسنا الى المـائدة وأمرت باحضار الطعام ·

قـال اليوت :

ـ « اسمحوا لى أن اطلب لكم نبيذا ، رغم أننى لا أشرب الآن ، لأنه يتعبنى · لكننى أريدكم أن تشربوا أفخر الأنواع » ·

بدأ اليوت فى التحدث مع صوفى ، لكنها لم تقل سوى كلمات قليلة • كانت تبدو سقيمة وضجرة • فقد وعدت لارى بألا تشرب • وكان ذلك أمرا صعبا بالنسبة لها • بعد ذلك تحدث جراى واخبرنا بانه سيبدأ العمل فى القريب العاجل •

قـــال :

« ــ أنا الآن فى اتم صحة وعافية • وذلك بفضــل مساعدة لارى • لم تعد نوبات الصــداع تنتابنى الآن • ان لارى يستطيع مســاعدة اى انسان مريض » •

كان جراى يقصــد صـــــوفى ، ويوحى الى لارى بمساعدتهـــا •

عندما انتهينا من الطعام تحدث الجرســون الى اليوت وقال له :

ــ « لدينا اليوم شراب خاص جدا • أعرف أنك لا تشرب النبيذ الآن ، لكن هــذا الشراب سيناســب الجميــع » •

قـال اليوت :

ـ « أحضر لنا زجاجة . دعني أجربه » .

كان لون الشراب أخضر شاحبا وغير مألوف . تناول اليوت بعضا منه ، ولدهشتي تناولت ايزابيـل بعضا منه أيضـا . فقد كانت ايزابيل عادة لا تشرب الا القليل جدا ، محافظة منها على رشاقتها .

قالت ايزابيل بصوت مرتفع على غير العادة :

ـ « له رائحة جميلة يا خالي اليوت . ومذاقه في منتهى الروعـة أيضـا ، لابد أن تشترى لنا بضـع زجاجات يا جراى » .

قال اليوت بكرمه المعهود :

ـ « أنا سعيد لأنه أعجبك . سأشترى لك بعض الزجاجات » .

بدت ايزابيل سـعيدة جدا وأخذت تتحـدث عن الشراب حتى غادرنا الفندق ، كمـا أنني تحدثت مع صوفي قبل أن تتركنا هي ولارى .

ـ « متى سوف تتزوجين ، يا عزيزتى ؟ »

اجابت صـوفى :

ـ « الأسبوع بعد القادم · آمل أن تحضر حفل الزفـاف » ·

قـلت :

ـ « للأسف · فسوف أغادر باريس غدا · لكننى أتمنى لكما منتهى السعادة » ·

قالت ايزابيل :

ـ « خسارة الا تحضر حفل الزفاف · فسـوف ترتدى صوفى أجمل فستان زفاف · سآخذها الى صانع ملابس الآن ، لنختار أجمل فستان تقع عليه أعيننا »·

سعدت صوفى جدا ، وسعدت أنا كذلك · فقد أخذت ايزابيل بنصيحتى · وبدأت تصبح لطيفة مع صوفى · وغادرت ايزابيل وصـوفى الفندق معا ، وهى ما تزال تتكلم بصوت عال ·

ودعت لارى وجراى واليوت . صباح اليوم التالى تركت باريس متجها الى لندن . وقد رتب اليوت الأمور لمقابلتى هناك بعد عدة اسابيع .

بعد أسبوعين قابلت اليوت فى لندن ، وسالتـه بالطبع عن الزفاف :

ـ « هل جرت الأمور على ما يرام ؟ وهل كانت صوف فى أبهى زينتهـا ؟ هل تعتقد أن لارى وصـوف سيكونان سعداء ؟ » .

قال لى اليوت :

ـ « لا استطيع الاجابة على أسئلتك . لأنه لم يكن هناك زفاف . لقد هربت صوف ؟ »

قلت بدهشة شديدة :

ـ « صوف هربت ؟ لمـاذا فعلت ذلك ؟ وقد كانت فى أمس الحاجـة لمساعدة لارى ، أليس كذلك ؟ هل حدث بينها وبين لارى شجار ؟ »

أجـاب اليوت :

ـ « كلا ، كلا على الاطلاق ، كل شيء كان قد تم اعداده • وقبل الزفاف بأربعة أيام اختفت صوفى » •

ـ « وبالتأكيد بحث عنها لارى ؟ »

قال اليوت :

ـ « بالطبع بحث عنها • بحث عنها فى كل أرجاء باريس • واكتشف أنها تركت شقتها • ولم يرها احد بعد ذلك » •

قلت :

ـ « لابد أن لارى حزين جدا من أجل ذلك » •

قال اليوت :

ـ « أنا لم أره • لكن ايزابيل قالت بأن لارى كان قلقا جدا على صوفى • كما أنها اصبحت متعاطفة جدا مع لارى » •

فكرت للحظة ، وقلت لنفسى : لابد أن تكون ايزابيل فى منتهى السعادة الآن • فقد كانت لا ترغب

فى زواج لارى من صــوفى • كان لدى ســؤال آخر .
فسألت اليوت :

ــ « من كان آخر شخص تكلم مع صوفى قبل أن تختفى ؟ »

قــال اليوت :

ــ « ايزابيــل • فقد اتصــلت بها ايزابــل بخصوص فستان الزفاف • فوعدتها صوفى بالحضــور الى شقتهــا ، ومن ثم تذهبــان ســويا لاحضـــار الفســتان » •

ــ « الم توف صوفى بوعدها ؟ »

ــ « كلا • بل حضرت فى موعدها • لكن ايزابيل لم تكن موجــودة • وعنــدما عادت كانت صــوفى قد انصرفت • وكان ذلك آخر شىء نعرفــه عنهــا » •

كان ذلك غريبا جدا • وتساءلت لمــاذا تهرب صوفى على هذا النحو ؟ هل تعرف ايزابيل السبب ؟• كان لدى اليوت رأى فى ذلك •

فقــال :

ــ « أعتقد أن صوفى كانت تريد معاودة السرب ثانية . لقد كانت تتعاطى الأفيون أيضا . كانت صوفى تريد من لارى أن يساعـدها ، لكن كان من الصعب عليها أن تغير حياتهــا . فقد كانت تشرب وتتعــاطى الأفيون منذ فترة طويلة جدا » .

ــ « وما هو رأى لارى ؟ » .

ــ « لارى لا يود أن يتكلم عن صوفى لأى أحد . لكنني أعتقد أنه محظوظ ، لأن صوفى كانت ستجعل حياته جميعا » .

كانت تلك وجهة نظر ايزابيل أيضا ، وقد حققت ما كانت تريده ، بعدم زواج صــوفى من لارى بعد كل شيء . كما أن ايزابيل ظلت صديقة للارى . ترى هل دبرت ايزابيل كل ذلك ؟

مضى ما يقرب من عــام قبل أن أرى ايزابيــل ثانية ، وقبل ذلك كنت قد عرفت الحقيقة ــ من صوفى ماكدونالد نفسها .

(١٠)

مقـــابلة صـــوفى

خلال الستة شهور التى تلت ذلك كنت مشغولا جدا . فأقمت فى بيتى الكائن على البحر وانتهيت من كتابى القادم . أحيانا كنت ارى اليوت ، وذات مرة اقمت عنده لبضعة أيام .

قال لى اليوت :

ـ « لقد فاتتك عدة حفلات رائعة . كلها كانت فى منتهى البهجة . أشعر حقيقة بأننى على ما يرام تماما » .

مسكين اليوت . فرغم تقدمه فى السن ومرضه ،

لم يكن يرفض ابدا اى دعوة توجه اليه لحضـور اى حفلة ، خشية أن يتناساه أصدقاؤه ٠

بحلول شهر يونيو ، شعرت أننى فى حاجة الى اجازة ٠ تركت اعمـالى وركبت سفينة صغيرة تقوم بجولة على مدن السـاحل ٠ كان الجو معتدلا وكان البحر هادئا ٠٠ توقفت السفينة مرتين أو ثلاثا ببعض الشواطىء واخيرا وصلنا الى مينـاء تولون ٠ وهى مينـاء مزدحم مليىء بالسفن والبحـارة ٠ استمتعت بمرأى السفن التى سيبحر بعضها الى الجنوب والبعض الآخر الى الشرق ٠ من ميناء تولون يمكنـك أن تقوم برحلة الى أى مكان فى العالم ٠

رست السفينة فى الميناء بعد الظهر ٠ وأخذت اتجول فى المدينـة أتطلع الى السفن والى الناس ٠ وبينما كنت أتطلع الى الجالسين خارج أحد المقاهى ، نـادى على أحـدهم باسـمى ٠ كانت صـوفى ٠ كانت تجلس وحيـدة وأمامها زجاجة شراب فارغة ٠ توقفت وسلمت عليها ٠ كانت سعيدة لرؤيتى ٠

قالت صوفى :

ـ « اجلس وتناول شرابا » .

فقلت لها :

ـ « بل دعينى أشترى لك شرابا » جلست الى نفس المائدة واخذت أتطلع الى صوفى بعناية .

كانت صوفى ترتدى زى بحار فرنسى . كانت نحيفة جدا ووجهها بنى للغاية . وشعرها قصير جدا ومجعد ومصبوغ بلون ذهبى . كانت تبدو مثل صبى أكثر منها امرأة .

قلت :

ـ « تبدين سعيدة ، وهذه الملابس تناسبك » .

قالت :

ـ « أنا على ما يرام . كيف الحال فى باريس ؟ »

أجبتها :

ـ « لم أكن فى باريس منذ ستة شهور » .

ضحكت صوفى وقالت :

ـ « ولا أنا • لأننى لم أتزوج لارى بأى حال من الأحوال • »

ـ « أعرف • لماذا لم تتزوجيه ؟ »

ضحكت صوفى ثانية ، وقالت :

ـ « اتريد أن احكى لك ؟ »

هززت راسى موافقا ، واحضر الساقى شرابنا وأشعلت صوفى سيجارة •

قالت :

ـ « عندما دعوتنى للغداء ، لم آكن ذقت شرابا منذ ثلاثة شهور • كما أن لارى ساعدنى فى التوقف عن تدخين الأفيون ايضا • كنت أريد أن ارضى لارى ، رغم معاناتى الشديدة » •

تطلعت الى عينى صوفى • كان من الواضح أنها عادت لتدخين الأفيون ثانية •

ـ « كانت ايزابيل ستأخذنى لاحضار فستان

الزفاف • وكان فستانا جميلا • بالفعل • لم اعرف ماذا حدث لها • فقد وعدتها بعد أن اتصلت بى تليفونيا ان اقابلها فى شقتها • لكننى عندما وصلت ، لم تكن موجودة » •

سألتهـــا :

ـ « وما سبب ذلك ؟ » •

ـ « اخذت احدى طفلتيها الى طبيب الأسنان • طلبت من الخـادمة أن تعد لى فنجانـا من القهوة • وبينما كنت اشرب القهوة ، لاحظت وجود زجاجة على المـائدة وكأسين أو ثلاثا • وحقيقة احسست برغبـة شديدة فى الشرب • أكملت شرب قهوتى • ولم تحضر ايزابيـل •

سألتهـــا :

ـ « ماذا كان داخل الزجاجة ؟ » •

أجـابت :

« الشراب الأخضر ، الذى شربت منه ايزابيل فى

الفنـدق • انتظرت طويـلا ، وعينـاى لم تفارقـا الزجاجة • أخيرا صببت كأسـا وتذوقت قليـلا من الشراب • كان جيدا جدا • شربت قليلا بعض الشيء ، ثم أنهيت الكأس » •

ـ « هل عادت ايزابيل فى ذلك الحين ؟ »

ـ « كلا ، لم تعد • لو أن ايزابيل عادت فى ذلك الحين ، لكنت متزوجة من لارى الآن • لكنهـا لم تعد • وهكذا شربت المزيد والمزيد » •

فى تلك اللحظة ادركت ما خططت له ايزابيل • كانت ايزابيل تأمل فى ان تعود صوفى للشراب ثانية وبالتالى وضعت الزجاجة امامها لتغريها •

قلت بنوع من العتاب :

ـ « وبالطبـع شربت الزجاجـة كلهـا ! وماذا قـالت ايزابيل ؟ » •

ـ « لم تجدنى عند عودتها • سمعت صـوتها اسفل السلم ، لكننى هربت بطريقة ما من المنزل •

فقد جعلني الشراب اشعر بسعادة غامرة ، لم أعد معها أشعر بحاجتي الى لارى · ولم أشأ أن يعثر على · لذا فقد أتيت الى هنا » ·

سـألتها :

ـ « هل تنوين البقاء هنا ؟ » ·

ـ « بالطبع · فأنا سعيدة ، ألست كذلك ؟ · هنا أستطيع الحصـول على أى كمية من الأفيون · البحارة يجلبونه لى · أنا أحب العيش هنا · لا اريد أن ألعب دور الزوجة الطيبة ، التى ترتضى العيش فى بيت صغير · أريد أن أشرب وأستمتع بالحياة » ·

ـ « اذن فأنت سعيدة هنا » ·

ـ « سعيدة ؟ هل يوجد من هو سعيد ؟ انهم قلة · لكننى استمتع بالحيـاة · أحصـل على كل ما أريده هنا » ·

فى تلك اللحظة سمعت جلبة صادرة عن مجموعة من البحارة تمر من أمامنا · اتجه واحد منهم ناحيـة

مائدتنا • كان شابا وسيما ، شعره أسـود فاحم ، ابتسم ذلك الشاب البحـار لصـوفى ، لكنه عبس فى وجهى •

قالت صوفى لى :

ـ « رحب بصديقى » ، وأخذت تتأمل البحار الشاب ثم قالت :

ـ « انه وسيم ، أليس كذلك ؟ كما أنه قـوى للغـاية » •

كان الشاب يبدو قويا بالفعل ، لكن الأكثر من هذا أنه كان من النوع الخطـر • نهضت واقفا وقلت لها :

ـ « كونى حذرة يا صوفى ، فأنت تقيمين صداقات خطرة • سأترك لك عنوانى ، فى حالة اذا ما وقعت فى أى مشـكلة فى يوم من الأيام سـوف تجدين رقبتك مقطوعـة » •

قالت صوفى بصوت عال وهى تبتسم :

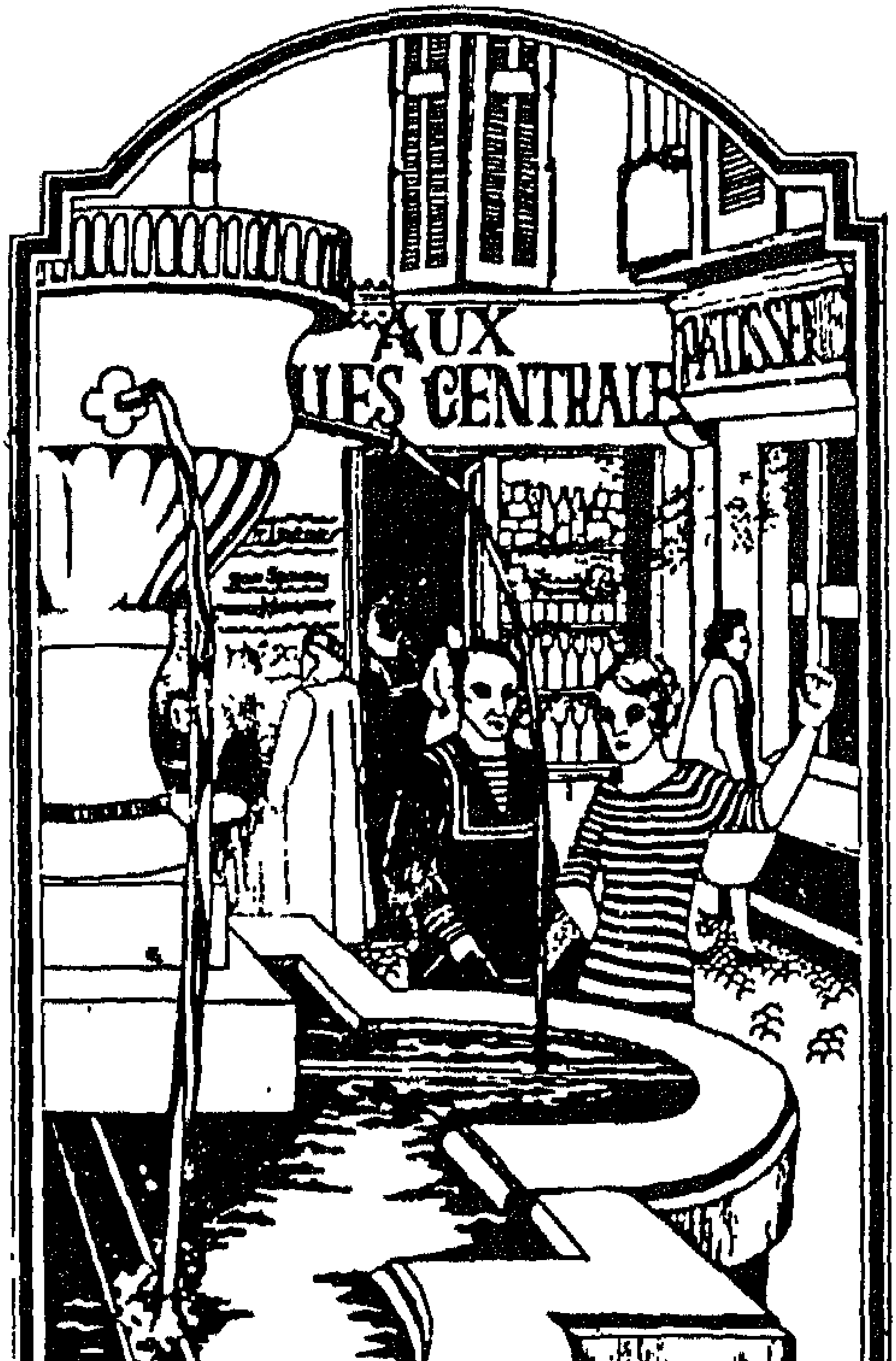
AUX
LES CENTRALES

ـ« ومن ذا يهتم ؟ » .

أعطيتها عنواني ونقودا لتدفع ثمن التراب . ثم سرت ببطء بعيدا عن المقهى . كانت صوفى تقف مع البحار الشاب يتحدثان بصوت عال . عندما وصلت الى ناصية الشارع ، التفت فنظرت صوفى الى ، فلوحت لها بيدى . ومشيت على مهل عائدا الى سفينتى . ولم أر صوفى ، مرة ثانية على قيد الحياة .

(١١)

الدعوة الأخيرة لاليوت

كانت اجازتى القصيرة على وشك الانتهاء • وبعد حوالى أسبوع كنت فى بيتى ثانية • كنت سعيدا بعودتى ومعاودة عملى •

لكن خادم اليوت بعث لى برسالة ، تفيد بأن اليوت مريض ويرقد فى الفراش ويرغب فى رؤيتى • فى اليوم التالى قدت سيارتى الى بيت اليوت • وعندما وصلت تكلمت مع خادمه •

ـ « ماذا حدث ؟ هل سيدك مريض ؟ » •

قال لى الخادم :

ـ « الطبيب غير مطمئن على الاطلاق . سيدى مريض جدا . فهو لا يعيش عيشة رجل عجوز ، وأخشى ان يموت سريعا » .

انتابنى قلق شديد واسرعت بصعود السلم الى حجرة اليوت . كان اليوت فى الفراش ، ولدهشتى وجدته هادئا ومبتهجا .

سألته :

ـ « كيف حالك ، يا اليوت ؟ »

ـ « سأكون على ما يرام خلال أيام قليلة . لابد أن أقف على قدمي يوم السبت . فهناك حفلة مهمة ذلك اليوم » .

سألته :

ـ « كيف يتسنى لك التفكير فى الحفلات ، يا اليوت . وانت فى هذه الحالة . لابد أن تبقى فى الفراش حتى تستعيد صحتك تماما » .

قــال اليوت :

ــ « كــلام فارغ . ســأكون على ما يرام يــوم السبت . وسوف ترى » .

كان اليوت على حــق . فقد كنت مدعوا لهــذه الحفلة ورأيت اليوت يتحرك بحيوية ويتحدث بشــكل جيد ، واستمتع الجميع برؤيته .

كنت أزور اليوت من حين الى آخر . أحيانا يكون مريضا ، لكنه كان يتواجد بصفة دائمة فى معظم الحفلات ودعوات العشاء .

كنت أذهب لرؤيته كل ثلاثة أو اربعــة أيام . وذات مساء فى بداية شهر أغسطس وجدت اليوت هادئا وحزينا . تحدثت عن كل أصــدقائنا ، وحاولت أن اجعله يضحك .

سألتــــه :

ــ « ماذا بك يا اليوت ؟ هل طلب منك الطبيب أن تلزم الفراش ثانية ؟ » .

لم يرد على فى البداية ، ثم قال بهدوء :

ـ « هل ستذهب الى حفل الأميرة نوفيمالى ؟ »

ـ « كلا . لن أذهب بالطبع . سيكون هناك أناس كثيرون » .

ثم قال اليوت بنوع من الحسرة :

ـ « هل ارسلت لك الأميرة دعوة ؟ »

ـ « بالطبع . ودعت كل من تعرفة . فهذه أكبر حفلة فى العام » .

نظر الى اليوت بنوع من الأسى .

وقـــال :

ـ « الأميرة لم تدعنى » .

قـلت :

ـ « أتوقع أن تصلك الدعوة غدا » .

قـــال :

ـ « كلا ، لن تصلنى • فهذه المرأة تكرهنى • هى أمريكيــة مثلى وتعتقد أننى أعرف الكثير جدا عن عائلتها • انها أحسن حفلة فى العام وانا لم توجه لى الدعــوة » •

قــلت :

ـ « أنا متأكد أنهــا مجرد غلطــة • سأتصــل بسكرتيرتها بهذا الخصوص » •

ـ « كلا ، لا فائــدة من ذلك • فهى تكرهنى • الكل يكرهوننى لأننى رجل عجوز » •

ولدهشتى، رأيت اليوت يبكى • شعرت بالحزن من أجله • فقــد قضى اليوت حيــاته يقيم الحفـــلات للمشهورين من الناس • أما الآن وقد أصبح عجوزا فهم يتناســـونه • ولمــا كنت أحب اليوت فقــد قررت مساعدته •

فى اليوم التالى ذهبت لمقابلة ســكرتيرة الأميرة • كانت قد أرسلت كل الدعوات وتلقت الرد عليهــا • لكننى أقنعتها بأن ترســل دعوة الى اليوت • فكم كانت

ستسعده هذه الدعوة وترفع من معنوياته ، رغم أنني كنت على يقين بأن اليوت سيكون مريضا جدا ، ولن يكون باستطاعته الذهاب الى الحفل •

ولقد صدق حدسي • فعندما زرت اليوت بعد ذلك ، داهمني احساس بأنه يموت • لكنه كان يمسك دعوة الأميرة بين يديه •

قلت له :

ــ « هيه ! لقد وصلت دعوتك ، يا اليوت » •

ورغم أنه كان يبدو واهنا ، الا أنه كان يشعر بالرضا •

ــ « تمام • وصلت الدعوة صباح اليوم • هل من الممكن أن تكتب لي ردا عليها » •

قلت له :

ــ « لا تقلق بخصوص ذلك ، يا اليوت » •

ــ « أنا أعرف أنه لن يكون بامكاني الذهاب ، فأنا أموت • كنت أرد على الدعوات فور وصولها • سوف أرد على هذه الدعوة • لابد أن تكتب الرد • سأملي عليك ما تكتبه » •

أغلق اليوت عينيه وارتسمت على وجهه ابتسامة وقال اكتب ذلك : « يتقدم السيد اليوت تمبلتون بالشكر والامتنان للاميرة نوفيمالى ، للدعوة الرقيقة التى وجهتها اليه ، واذا قدر لسـوء الحظ الا يلبى الدعوة بحضور الحفل ، فسوف يكون ذلك لارتباطه بدعوة مسبقة لحضور حفل عشاء بالجنة » •

ضحك اليوت ضحكة قصيرة وقال :

ـ « انها امرأة فظيعة ! »

كانت هذه آخر كلمات نطق بها اليوت • نادين المرضة • ثم اتصلت بجراى وايزابيل • حضرا فى أول قطار ، عندما وصلا كان اليوت قد مات •

كان اليوت قد ترك ترتيبـات جنازتـه مكتوبة بعناية • دفن فى كنيسة صغيرة بايطاليا كان قد ساهم فى بنائها • ترك منزله وشقته فى باريس وكل أمواله لايزابيـل •

كان جراى منذ فترة طويلة يود أن يعود الى

امريكا • والآن أصبح لديه المـال الذى يمكنه من أن يبدأ مشروعا لنفسه • وافقت ايزابيل ورتبوا أمورهم للعودة الى امريكا فى الربيع • أخيرا أصبحت ايزابيل امرأة ثرية •

وهكذا مات البوت راضيا • فوفاته جعلت جراى وايزابيل سـعداء أيضا ، وأصبح بامكانهم العودة الى أمريكا والعيش كشخصيات مهمة • وسيعجب الناس بما يمتلكونه من أشياء جميلة ويصغون الى حكاياتهم عن فرنسـا • ومن الطبيعي أن يكون لهم أصـدقاء عديدين ، وأن يعيشوا سعداء بقية حياتهم •

(١٢)

عودة لارى الى باريس مرة ثانية

فى ذلك الخريف ، اغلقت شقتى بجنوب فرنسا. فقد كنت أنوى قضاء الشتاء فى لندن . لكننى قررت ان اقضى اسبوعين أو ثلاثة فى باريس أولا .

كان جراى وايزابيل لا يزالان فى باريس كذلك. وكان ذلك آخر شتاء لهما فى فرنسا . كانا مشغولين بزيارة الأصـدقاء وارتياد الحفلات . كانت ايزابيل تعلم بوجود لارى فى باريس ، لكنها لم تره الا مرات قليلة . وكالعادة لم يقل لارى لأحد أين يقيم .

كنت أقضى الكثير من الليالى فى المسرح . وذات

ليلة ذهبت الى أهم مسرح فى باريس ، حيث كانت تعرض مسرحية نثرية لم يسبق لى أن رأيتها تمثل من قبل • كانت كلمات المسرحية الدافقة تنطق مثل الموسيقى العذبة • ورغم أن المسرحية مسرحية تراجيديه الا أنها كانت مثيرة جدا •

فى فترة الاستراحة تركت مقعدى وخلوت بنفسى وشرعت أفكر فى تلك الكلمات الجميلة التى سمعتها منذ قليل • لمس شخص ما كتفى • استدرت بسرعة فرأيت لارى • سعدت جدا لرؤيته •

التقينا بعد انتهاء العرض ومشينا عبر الشوارع المزدحمة ، حتى وصلنا الى مطعم كبير • كان الوقت متأخرا ، وكنا جائعين فطلبنا طعاما دسما •

قلت للارى :

ـ « لقد رأيت ايزابيل • هى وجراى سوف يعودان الى أمريكا • »

قال لارى :

ـ « سيسعد جراى جدا . فهو لا يحب باريس .. يحب العمل الشاق . أتوقع أنه سيجمع الكثير من المـال فى امريكا » .

قـلت له :

ـ « لو حدث ذلك ، لوجب عليه أن ينسـكرك ، يا لارى . فقد ساعـدته عندما كان مريضا ، وجعلته يشعر أن بامكانه معاودة العمل » .

قـال لارى :

ـ « لم أفعل الا القليل . لقد أرشدته على الطريقة التى يساعد بها نفسه » .

سألتـه :

ـ « أين تعلمت ذلك ؟ »

أجـاب لارى :

ـ « فى الهند . علمنى ذلك رجل حكيم . واكتشفت أنه باستطاعتى أحيانا ، أن اخلص النـاس من آلامهم .

أساعدهم لنسيان خوفهم • وهذا شيء فى غاية الأهمية » •

فى تلك اللحظة وصل الطعام • كنا جائعين ، فانهلنا على الأكل لفترة دون أن نتكلم • ثم نظرت الى لارى •

سألته :

ـ « ما الذى جعلك تسافر الى الهند ؟ »

ـ « مجرد صدفة • أنا على الأقل أعتبرها فرصة• لكننى أعتقد اننى ذهبت الى هناك بسبب أناس معينين » •

ـ « أى أناس ؟ »

ـ « أناس قابلتهم فى أماكن متعددة فى أوربا » •

ـ « اذن فقد سافرت فى أنحاء أوربا قبل أن تذهب الى الهند » •

ـ « نعم • هل تعرف ماذا فعلت عندما تركت باريس أول مرة منذ عشرة أعوام • ؟ »

ـ « كلا · قل لى أرجوك ، يا لارى » · تساءلت عما يمكن أن يقوله لارى · هل قام بالعمل فى جامعـة أو مدرسـة ·

قـال لارى :

ـ « شعرت بأن جسدى فى حاجة الى عمل شاق · وهكذا عملت فى منجم » · أصبت بدهشة شديدة ·

فقـلت :

ـ « عامل فى منجم ؟ أين ؟ »

« فى شـمال فرنسا · كان العمل صعبا ، لكننى قابلت بعض الناس هنـاك أثاروا انتباهى · اناس يثيرون الانتباه من أى زاوية تنظر بها اليهم » ·

أخذت استمع اليه فى اهتمام · لم أكن أود منه أن يتوقف عن الكلام · فها هو أخيرا يخبرنى ببعض الأمور عن حياته الغريبة · وواصل لارى كلامه :

ـ « قابلت رجلا من بولندا ، اسمه كوستى ·

كان قويا كالثور ، دائما على استعداد للشجار · لكن أحيانا فى آخر الليل ، وكنا نجلس فى مقهى صغير كثير الضوضاء ، يصبح جادا ، ويشرع يتكلم عن الله ورغبتنا فى العثور عليه ، كان لا يتكلم فى هذه الأمور ، الا عندما يكون سكرانا » · وابتسم لارى :

ـ « لأى مدة عملت فى هذا المنجم ؟ »

أكمل لارى كلامه :

ـ « لمدة ستة شهور · بعدها اقترح كوستى أن نذهب الى ألمانيا · وحدث ذلك بالفعل · كان فصل الربيع رائعا · وبينما كنا نسير فى ربوع ألمانيا ، علمنى كوستى الألمانية ، وفى فصل الصيف عملنا فى مزرعة » ·

سألته :

ـ « الم تلتقى بأى امرأة جميلة فى ألمانيا ؟ » ·

طرحت عليه هذا السؤال ، لأعرف اذا ما كان لايزال يفكر فى ايزابيل · وفهم لارى السؤال ·

فاجـاب :

ـ « لقد كنت فى منتهى الأسى عنـدما عـادت ايزابيـل الى امريكا . لم أفهمهـا فى ذلك الحين . اما بالنسبة لسـؤالك ، فقد قابلت بالفعل فتيـات جميلات ، أعجبن بى . عندما كنت أعمل بالمزرعـة فى المـانيا وقعت بنت صاحب المزرعة فى حبى ! » .

ضحكت . فقد تبين لى أنه لم يحبها .

سألتـه :

ـ « وماذا فعلت ؟ » .

قـال :

ـ « هربت ! لكنني مازلت أتذكرهـا . كـل انسان نقابله يحدث فينا تغيرا بطريقة أو بأخرى » .

وتصورت للحظة أن لارى سـوف يتوقف عن الكلام . كان ذهنه شاردا الى بعيد وترتسم على وجهه ابتسـامة .

فقلت له مذكرا :

ـ « ما زالت المـانيا بعيدة جدا عن الهند » ٠

فأجـاب :

ـ « ليست بعيدة جدا ٠ لأن هناك أناسا فى كل مكان يفكرون بنفس الطريقة ٠ ففى المـانيا ساعدنى راهب فى البدايـة ، سألته عدة أسـئلة وسألنى هو سؤالا واحدا فى منتهى الأهمية » ٠

قـلت :

ـ « وما هو هذا السؤال ؟ »

ـ « سألنى عما اذا كنت أؤمن بالله » ٠

ـ « وبمـاذا أجبتـه ؟ »

ـ « بدلا من الاجابة على سـؤاله ٠ حكيت له شيئا عن نفسى » ٠

توقف لارى للحظـة عن الكلام ثم اسـتمر ٠ ونسانى تماما ٠ فقد عاد الى المـانيا ، يتحـدث مع الراهب ٠

ـ « عندما كنت فى المدرسة ، أحببت الطيران ، وعندما قامت الحرب كنت أرغب فى الطيران . عندما بلغت السابعة عشرة كنت أطير فوق فرنسا . كانت الطائـرات أيامها خطرة ، لكننى أحببت الطـيران . عندما أحلق فى الجو أشعر بالزهو والسعادة .

« ذات يوم رأيت رجـلا مقتولا . كان شـابا وكان أفضل صديق لى . لم افهم لمـاذا مات . وعندما انتهت الحرب ، بدأت أقرأ كل ما أستطيع قراءته . كنت أريد أن اعرف لمـاذا يسمح الله بموت الشباب ».

قـلت :

ـ « ليس هنـاك أحد يعرف اجابـة هـذا السـؤال » .

ابتسـم لارى :

ـ « قال لى الراهب ان كنيسته تعرف الاجابة . ودعانى للاقامة معه فى الدير » .

قـلت :

ـ « وهـكذا أصبحت راهبـا الى حـد ما · كم ستدهش ايزابيل عندما تعرف ذلك » ·

اجـاب لارى :

ـ « قرأت كمية من كتب الرهبان ، لكنها لم تجب على سؤالى · وهكذا عدت ثانية الى باريس » ·

توقف لارى عن الكلام ونطلع فى أنحـاء المكان · كان خاليا تقريبـا والجرسون ينظر الينا · فقد كان يريد منا أن ننصرف · وقفنـا · كنت أريد ان أسمع المزيد من حكاية لارى ، لكنه لم يرغب فى أن يخبرنى بأى شىء آخر · دفعنا الحساب وقلنا لبعضـنا وداعا ·

وكالعادة ابتعد لارى مسرعا · فهو دائما يحب أن يكون وحده · ورغم مرور عشر سنوات ، الا أن لارى كان لايزال ذلك الشاب الغريب الأطوار ، الذى قابلته لأول مرة فى شيكاغو · لكنه رجل فى منتهى السعادة · ولا يستطيع شىء أبدا أن يكدر صفوه الآن ·

(١٣)
مقتـــل صـــوفى

أمضيت الشـــتاء كالعـــادة فى لندن • وكان من الغريب طبعا ألا أقابل اليوت هناك ، استمتعت بلقـــاء اصدقائى من الانجليز • كان كتابى قد نشر ، وفى بداية ابريل عدت ثانية الى بيتى بجنوب فرنسا • ودون أى دعوة من اليوت لحضور حفلاته ، عشت فى هدوء •

ذات صباح من ابريل ، كنت مشغولا بالكتابة فى حجرتى بالدور العلوى ، حين دخل على خادمى ليخبرنى بأن هناك شرطيين يريدان مقابلتى • كنت لا أريد أن أتوقف عن الكتابـــة ، لكن كـــان من المحتم عـــلى أن اقابلهمـــا •

كان الشرطيان غاية فى الأدب . تبادلنا السلام وتحدثنا بهدوء لعدة دقائق . بعد ذلك اخرج الشرطى الطويل دفترا صغيرا من جيبه ، وقلب عدة صفحات بحرص ، ثم نظر الى وسألنى :

ـ « هل تعرف واحدة تدعى صوفى ماكدونالد ؟ »

دهشت جدا ، وقلت لنفسى ترى ماذا فعلت صوفى ؟ .

أجبته :

ـ « نعم أعرفها . لكن ماذا هناك ؟ هل حدث لها مكروه ؟ » .

فلقد اعتقدت أنها ربما يكون قد قبض عليها بسبب تدخين الأفيون .

قال الشرطى دون أن يبتسم :

ـ « بالفعل حدث لها مكروه . لقد ماتت صوفى ماكدونالد . عثرنا على جثتها طافية فى البحر بالقرب من تولون » .

همست قـائلا :

ـ « اذن فقد اغرقت نفسها ! » •

شعرت بالأسى من اجلهـا ، فربما اصابتها حالة اكتئـاب •

قـال الشرطى :

ـ « أنت مخطىء • لم تغرق • قطـع أحـدهم رقبتها ! لقد قتلت ! » •

كان ذلك شيئا فظيعا • انتابتنى رعشة شديدة رغم أننى كنت بردانا جدا • لابد أن أحد أصـدقائها انتابته الغيرة عليها فقتلها • يا لبشاعة الطريقـة التى ماتت بهـا •

تطلع الى رجل الشرطة وقال :

ـ « نريـدك أن تأتى معنـا الى تولون • أنت تعرفها • لابد أن ترى الجثة • حتى لا يحدث أى خطأ من جانبنـا » •

وهكذا ذهبت مع الشرطيين · توجهنا الى المدينة التى رايتها فيها لآخر مرة خارج المقهى مع صديقها البحار · لم تاخذ بنصيحتى والآن قد ماتت ·

ذهبنا الى المكان الذى نحفظ فيه جثث الموتى قبل دفنهم · وهو مكان بارد جدا · حيث كان جسد صوفى مغطى بملاءة من القماش · وكشف رجل الشرطة عن وجهها فى صمت ·

قلت له :

ـ « أجل انها صوفى ماكدونالد ! » ·

تصورت أن رجلى الشرطة لن يوجها لى مزيدا من الأسئلة · لكن لدهشتى اخرج أحدهما شيئا من جيبه وقال :

ـ « وجدنا هذه الصورة فى غرفتها · ها هى · هل تعرف هذا الرجل ؟ »

تطلعت الى الصورة ، كانت صورة لارى ·

قلت للشرطيين :

ـ « انه أمريكى . اسمه لورانس داريل »
وبطبيعة الحال لم استطع أن أكذب فى أمر كهذا . ثم استطردت :

ـ « لورانس داريل جاء من شيكاجو . وهو يعرف صوفى ماكدونالد منذ أن كانا طفلين فى أمريكا » .

ـ « لكن هذه الصورة ألتقطت له فى فرنسا . هل يعيش هذا الرجل فى فرنسا حاليا ؟ »

كنت أعرف أين يقيم لارى . كان يعيش فى قرية صغيرة على بعد أميال قليلة من باريس . أخبرت الشرطيين بذلك .

رسل رجل الشرطة اشارة للارى فوصل الى تولون فى اليوم التالى ، استجوبته الشرطة مدة طويلة ، واكتشفوا أنه رجل طيب . وليست له اى صلة بمقتل صوفى . فلارى لم يرها منذ أكثر من عام تقريبا .

اذن ، من قتل صوفى ؟ لم تكتشف الشرطة ذلك

حتى الآن . من المحتمل ان يكون احد البحارة قد تشاجر معها وقتلها ، وهو الآن على بعد آلاف الأميال .

كنت أنا ولارى الصديقين الوحيدين لصوفى . قمنا بترتيب اجراءات الجنازة . وكنا الشخصين الوحيدين اللذين سارا خلفها . فى يوم الجنازة كانت الشمس ساطعة ، لكن ريحا شديدة هبت فجأة . وأصبح الجو باردا وانحنت الأشجار الموجودة قرب المدافن حزنا عليها .

(١٤)

لارى يحكى عن الهند

بعد الجنازة ، سرت أنا ولارى عائدين حيث كانت توجد سيارته القديمة · وبينما كنا نسير بالسيارة وسط مدينة تولون تكلم لارى عن صوفى ·

وفجأة قال :

ـ « لقد كانت صوفى المرأة الوحيدة التى اردت الزواج » ·

تطلعت اليه بدهشة شديدة ثم سألته :

ـ « لماذا لم تتزوجها عندما كنت فى شيكاجو ؟ » ·

اجـــاب :

ـ « كانت مجرد فتـاة صغيرة عندما عرفتها . كانت عقليتها متفتحـة . لكنهـا الآن ماتت ميتـةً بشـعة » .

قـلت :

ـ « ربما كان الموت هو ما كانت ترغبه . فلم تكن صوفى تريد أن تستمر بها الحيـاة ، حتى تصبح امرأة عجوزا . لكن من الغريب جدا أن حياتها انتهت نهاية مفجعة » .

صمت لارى ، ثم قال :

ـ « الحيـاة تقودنا الى أماكن غريبة . ربمـا تكون هذه آخر مرة أراك فيها . سـأعود الى أمريكا قريبـا » .

لم يكن لارى قد سـافر الى أمريكا منذ عـدة أعـوام .

سألته وأنا أضحك :

ـ « هل ستعمل وتحققُ ثراء مثل جراى ؟ »

ـ « من الممكن أن أعمل • لكن لن أحقق ثراء • عندما أغادر فرنسا بعد عدة اسابيع ، لن يكون معى شيء سوى الملابس التى أرتديها وربما بعض الكتب » •

ـ « وماذا ستفعل بنقودك ؟ »

ـ « سأصرفها • وسيارتى القديمة سيأخذها صديق • بعدها أكون حرا » •

فى تلك اللحظة كنا قد وصلنا الى المناطق القديمة فى تولون •

قلت له :

ـ « اذا لم يكن معك نقود ، يا لارى • فبامكانى أن أشترى طعاما ، فكلانا بحاجة لشيء نأكله قبل أن نغادر المدينة » •

وافق لارى • أوقف السيارة وتوجهنا الى مقهى صغير بالقرب من الميناء القديم •

لو أن لارى سافر الى امريكا ، فمن المحتمل ألا اراه لمدة طويلة ، كنت اريد ان أعرف ماذا حدث له فى الهند .

طلبنا الطعام ، ثم قلت له :

ـ « تذكر بالطبع آخر مرة تناولنا فيها الطعام معا ، يا لارى ؟ ، حكيت لى عن الفترة التى عشتها فى المانيا . والآن أود أن اعرف ماذا حدث لك فى الهند ؟ » .

قال لارى :

ـ « ولم لا ؟ . ان ما حدث لى فى الهند غير حياتى . ومن الممكن أن يساعدك ما سأحكيه لك » .

بدأنا نأكل فى صمت لعدة دقائق ، بعدها بدأ لارى يتكلم :

ـ « بعد أن امضيت فترة فى المانيا عدت الى باريس . ومن باريس سافرت الى اشبيليه » .

ـ « أسبانيا بلد جميل واشبيليه من أجمل

مدنها . عشت فيها عندما كنت شابا . مدن أسبانيا جميلة ، وفتياتها أجمل » .

وافقني على ذلك وقال :

ـ « هن كذلك بالفعل . احدى هؤلاء الفتيات اعجبت بي لفترة . كنت انا أقرأ طوال النهــار ، وهى تغنى اغــانى اسبانية بالليل فى المقهى . انتهى الأمر بزواج الفتاة برجل من قريتها » .

ســألته :

ـ « وبالتالى كان الوقت قد حان لكى تغــادر اشبيليه ؟ » .

ـ « نعم . قضيت الفترة فى القراءة عن العقائد الكبرى فى الشرق . وفجــأة قررت السفر الى الشرق. حصلت على عمل باحدى الســفن فى أقرب فرصــة ممكنة . كانت سفينة قديمــة تبحر ببطء ، لكننى لم أهتم بذلك » .

قــلت :

ـ « وهكذا وصلت الى الهند » ٠

كنت سعيدا جدا لأن لارى بدأ أخيرا يروى لى حكايتـه ٠

ـ « وصلت السفينة الى الهند ، ورست فى ميناء بومباى ٠ توقفت السفينة هنـاك لمدة ثلاثة أيـام ٠ فى اليوم الثالث انتهيت من عملى على ظهر السـفينة ونزلت المدينـة ٠ أخذت أتمشى لفترة اتطلع الى جموع الناس ٠ كانوا من كل انحـاء الهند ومن كل انحـاء العالم ٠ قمت بزيارة بعض الكهوف خارج المدينـة ٠ شاهدت التمثال الضخم ذا الثلاثة رؤوس للاله الذى خلقنا ويساعدنا ، والذى بيده انهاء حياتنا ٠

أثارنى كل ما رأيتـه ٠ وعدت الى المدينـة فى المساء ٠ جلست فى أحد الحدائق ، وأخذت أفكر فى الأشياء التى رأيتهـا ٠٠ الشمس المشرقة ، النـاس فى ملابسهم الزاهية ، رؤوس الآلهة الضخمة ٠ تطلعت الى السـماء حيث كانت هنـاك نجوم كثـيرة لم ار

مثلها من قبل . وفجأة قررت البقاء فى الهند . وعدم العودة الى السفينة . كان جواز سفرى فى جيبى ، ومعى بعض النقود . وسألت نفسى ، هل انا فى حاجة لشىء آخر ؟ كلا . تيقنت أن الهند تمنحنى شيئا ما . وقررت البقاء ، والا فلن أعرف السعادة أبدا » .

ــ « هل بقيت فى بومباى ؟ »

ــ « كلا . سافرت بالقطار الى بنارس . كان الجو حارا جدا . وطوال الرحلة بالقطار ، كان الناس يأكلون ويشربون ويتكلمون » .

ــ « لكنك يا لارى ، لم تكن تعرف لغة هؤلاء الناس . فماذا كنت تفعل ؟ »

ــ « كان هنــاك شاب فى القطــار يتكلم بعض الانجليزية . ساعدنى فى الحصول على غرفة بالمدينة . وفى المساء أخذنى ليرينى نهر الجــانج المقدس . كانت الميــاه هادئة ساكنة ، والمدينة تنحدر حتى شــاطىء النهــر » .

سألتـه :

ـ « هل رايت أناسـا يصـلون ويستحمون فى فى النهر ؟ »

ـ « أجل . كنا نذهب مبكرا كل صـباح الى النهر . حيث نرى آلافا من الناس فى المـاء . رأيت رجلا طويلا نحيفا يرفع يديه عاليا وأخذ يصـلى بصوت عال للشمس وهى تبزغ » .

ـ « ما هى المدة التى بقيتها فى بنارس ؟ »

كنت اريد بأسئلتى هذه أن يواصل لارى حكايته باجابته عليها .

ـ « بقيت بالقرب من النهر المقدس لمدة سـتة شهور . كان النـاس فى منتهى اللطف معى . تعلمت الهندوسية ، وشرح لى هؤلاء الناس فكرتهم عن الاله . وهم يؤمنون به ايمانا راسخا » .

ـ « كان هؤلاء من الهندوس ، اذن ؟ »

ـ « نعم • وهم يؤمنون بأن الحياة لا بداية لها ولا نهاية • وعندما نموت ، تنتقل أرواحنا الى أجساد اخرى • نعيش حياة أخرى ، لكننا لا نتذكر ما حدث لنا من قبل » •

كان ذلك غريبا بالنسبة لى •

فسألته :

ـ « هل تعتقد فى ذلك ، يا لارى ؟ »

ـ « لا أدرى ، لكن ذات ليلة حدث لى شيء غريب• كنت وحدى اتأمل شمعة مضيئة بتركيز شديد فى محاولة لجعل ذهنى صافياً من الأفكار • تطلعت الى شعلة الشمعة الصغيرة الصافية ، فامتلأ ذهنى بنوع من السكينة والهدوء » •

توقف لارى للحظة • عاد بذهنه الى الحجرة الصغيرة حيث كان يتطلع الى الشمعة •

ـ « وبعد مرور فترة من الوقت رأيت صفا طويلا من الناس ، رجالا ونساء ، يقفون وراء بعضهم البعض ،

يرتدون ملابس غريبة تأملتهم لفترة قصيرة ، وبعد
ذلك انصرفوا ببطء » .

لاحظ لارى أننى أبتسم .

فقال :

ـ من المحتمل أننى كنت أحلم . لكننى أعتقد
، هؤلاء الناس هم أنا . انهم الناس الذين كنتهم فى
حياتى الماضية » .

قلت للارى :

ـ « بالنسبة لى أعتقد أن حياة واحدة تكفى » .
ضحك لارى وقال :

ـ « لكننا نستطيع أن نخرج بشىء من هذه
الفكرة . فهذه الفكرة تقوم على أساس أننا جزء من
شىء يعيش منذ الأبد . والأشياء فى هذا العالم
أشكالا مختلفة . وهذا ينطبق علينا » .

سألت لارى :

ـ « ماذا تعنى بذلك ؟ »

فقد كان لارى يتكلم عن افكار صعبة للغاية ٠

قـــال لارى :

ـ « فكر فى نقطة المـــاء ٠ فهى تنطلق بداية من البحر على هيئة بخار يتحول الى سحاب ثم يسقط بعد ذلك مطرا ٠ قطرات الميـــاه تسقط فى الأنهار ثم تعود ثانية الى البحر ، حيث تبقى الى الأبد » ٠

قـــلت :

ـ « لكننا لا يمكن أن نكون مثل قطرات المـــاء ٠ الانسان كيان مستقل بذاته ٠ أيمكن أن نكون جزءا من كل الحياة ، تماما مثل المياه التي تصبح جزءا من البحـــر » ٠

قـــال لارى :

ـ « اعتقد أنه من الممكن أن نكون كذلك ٠ هناك آلاف من البشر يعتقـــدون ذلك أيضـــا ٠ عندما ينسى

الناس ما يخص أنفسهم ، فبامكانهم ان يصبحوا سعداء » ·

هل كان لارى على صواب ؟ لست ادرى · فكرت فيأصدقائى الآخرين ، هل كان اليوت سعيدا ؟ وهل كانت صوفى كذلك أيضا ؟ أنا لا اظن ذلك · لكننى كنت متأكدا بأن لارى كان رجلا سعيدا · فقد كان صوته هادئا وعيناه مليئتين بالسعادة ·

تطلعت فى المقهى حولى · كان الناس يأكلون ويتكلمون كالعادة · هل هم سعداء ، أم تعساء ؟ كان من الممكن ان تصيبهم الدهشة لو أنهم سمعوا حديثنا ·

كانت أفكار لارى صعبة الادراك بالنسبة لى · واعتقد أنكم تجدونها صعبة كذلك · لأنكم لا تستطيعون فهم لارى وما يفعله الا اذا فهمتم افكاره · لكنها كانت سهلة الفهم بالنسبة لى لأن لارى يمتلك صوتا جميلا · وكان كل ما يقوله واضحا ، ومن الجميل أن نسمعه ·

(١٥)

ســر لارى

جلسنا صامتين لعدة دقائق . كانت الشمس ساطعة بالخـارج والريح تضرب البحر فتحوله الى أمـواج . وأناس كثيرون يمرون أمام المقهى . لقد ماتت صـوفى ، ومات اليوت . لكن هل نحن جميعا جزء من حياة عظيمة لا تنتهى أبدا ؟ .

ابتسم لارى ابتسامة ودودة ثم بدأ يتكلم ثانية :

ـ « بعد أن عشت فى بنارس ستة أشهر ، سافرت عبر أرجاء الهند لمدة طويلة . عشت حيـاة الفقراء . وكان الناس كرماء معى ويساعدوننى . كنت اسـتمع اليهم وتعلمت الكلام بعدة لغات هندية » .

سألتـــه :

ـ « متى سمعت عن الرجل الحكيم ؟ »

ـ « بعد مرور عامين ، قلت اصـديق لى بأننى سأذهب الى « ترفانكور » جنوب الهند ، فقال لى طالما ستذهب الى هنـاك فلابد أن تقابل الرجل الحكيم الذى يعيش وحيدا فى بيت صغير . لأن هـذا الرجـل من الممكن ان يمنحك ما تبحث عنه » .

سألتـــه :

ـ « هـل كان من الصعب الوصـول الى هـذا الرجـل ؟ »

ـ « كلا ، كان معروفا للجميع . وكان يزوره كثـير من النـاس . بعد أن وصـلت اليه أقمت عنده سـنتين » .

ـ « سنتان ؟ ماذا كنت تفعل ؟ » .

ـ « كنت أصغى اليه وهو يتكلم ، وأحاول أن اجعل ذهنى صافيا كما قلت لك . كان الرجل الحكيم

لا يتــكلم كثيرا ، لكن صــوته كان كالموسيقى • كان الناس يأتون اليه من أماكن بعيدة ليسألوا أسئلة خاصة بهم » •

ـ « وهل كان يساعدهم ؟ »

ـ « كان يحاول أن يجعل الناس تساعد نفسها • كان يعلمهم ذلك بطريقة بسيطة • فكلنا أقوياء أكثر مما نتصور ، واذا أردنا أن نكون سعداء ، فاننا نستطيع لحقيق ذلك » •

قــلت :

أعتقد ان قول ذلك مسألة سهلة بالنسبة له • فهو يعيش فى مكان جميل • والنــاس تتوافد عليــه ليتحدثوا معه • وليس لديه عائلة ولا عمل يقوم به » •

ـ « هذا صحيح • لكن التعليم كان مهنة هــذا الرجل • فقد كان يدرك أن هناك بعض الناس لابد ان يعملوا جاهدين طوال حياتهم • وبعض الناس لديهم الكثير من الهموم • لكن العمل ، اذا أديناه كما يجب ،

فانه يساعدنا على أن نكون سعداء . وعندما نعمل ، فاننا ننسى متاعبنا ونجد السعادة » .

قـلت :

هذا ليس بجديد ، فقد قاله كثير من المعلمين » .

اجـابنى :

ـ « بالطبع . لكننى كنت سـعيدا جدا للعيش بالقرب من هـذا الرجل . كان الوقت يمر سريعـا وكل يوم كان اسـعد من اليـوم الذى سبقه . كنت اتمنى البقاء هناك بقية حياتى » .

ـ « لكنـك الآن فى فرنســا يا لارى . ما الذى جعلك تغادر الهند ؟ هل مات الرجل الحكيم ؟ »

ـ « كلا . لكن شيئا حدث لى . ومن ثم أصبحت لدى الحرية للعودة » .

كنت اود أن أسأله عما حـدث . لكننى لم أقل شيـئا . كنت أعرف أن لارى سوف يقص على ذلك بطريقته الخاصة .

أخيرا قال لارى :

ــ « قال لنا الرجل الحكيم ، ان بامكان بعض الناس أن يكونوا سعداء تماما • وهذه السعادة تكون مثل الضوء أو النار التى تسيطر على كل عقولهم • عندما يحدث لهم ذلك ، فان هؤلاء الناس لا يعودون للحياة بعد وفاتهم • لأنهم مثل قطرات الماء التى تصبح جزءا من البحر الى الأبد » •

سألته :

ــ « هل حدث لك ذلك ، يا لارى ؟ »

نظر الى لارى وضحك بهدوء ، لأنه أدرك أننى أرى ان هذه الأفكار صعبة التصديق •

قال لارى :

ــ « سأحكى لك ما حدث • ذات صباح تذكرت ان عيد ميلادى سيحل بعد عدة أيام قليلة • فقررت أن أصعد الجبل حيث تعودت أن أجلس هناك وحيدا فى كوخ صغير • استمرت رحلة الصعود ثلاثة أيام • عندما

وصلت كنت على بعد عشرين ميلا من أقرب انسان رجلا كان أو امرأة » ٠

سألتـــه :

ألم تشعر بالخوف من الوحدة والصمت، يا لارى ؟ »

ـ « كلا ، لم أكن وحيدا ٠ لأنه لم يكن هناك صمت بطبيعة الحال ! عندما حل الظلام ، توجهت الحيوانات للشرب من البحيرة فى أسفل ٠ وطوال الليل ، كانت النمور تزأر ٠ والأفيال تقرقع بين الأشجار » ٠

فى هذه اللحظة كان لارى قد شرد بعيدا ٠ وكنت على يقين بأنه يسمع هذه الضوضاء ٠

قـال لارى :

ـ « قررت مشاهدة بزوغ الشمس يوم عيد ميلادى ٠ سرت فى الظلام الى مكان منبسط فوق قمة الجبل ٠

فى أسفل كانت هناك البحيرة الكبيرة ، وسفوح

الجبال كانت مغطاة بالأشجار الكثيفة والغابة مليئة بالحيوانات البرية ، وببطء بدأ ضياء النهار يظهر • وكانت الأشجار مغطاة بالضباب » •

« فجأة بزغت الشمس بصفاء فوق مياه البحيرة • فبدت صفحة المياه مثل سطح معدنى براق • كان العالم رائعا ، وكنت أنا جزءا من هذا العالم • كانت الحياة تدب فى كما تدب فى الناس والحيوانات والأشجار والجبال • كنت فى منتهى السعادة • شعرت أننى اتبدل مثلما تبدل الضباب عندما أشرقت عليه الشمس • وادركت لأول مرة ، ماذا تعنى الحياة » •

قلت :

ـ « ربما كان ذلك حلما ، فمن المحتمل أن تكون قد نمت » •

قال لارى :

ـ « كلا • كان ذلك احساسا حقيقيا ، أنا متأكد من ذلك • هناك العديد من الناس شعروا بذلك • لكن كان يتحتم عليهم أحيانا أن ينتظروا حتى تتقدم بهم

السس جدا . وأعتقد أنني محظوظ جدا ، لكوني شعرت بذلك وأنا شاب » .

كان على أن أصدق ما يقوله لارى . رغم أننى لست رجل دين ، وليس من مهمتى البحث فى كنه الله والوجود . فأنا رجل يحب الكتابة عن الناس .

سألتـــه :

ـ « اذن فقـد وجـدت ما كنت نبحث عنـه ، يا لارى ؟ » .

ـ « نعم . وجدته » .

ـ « لكن ذلك كان هناك ، بعيدا فى الهند . وانت الآن تريد العودة الى أمريكا ، فماذا ستفعل هناك ؟

ـ « قبـل أن أعود الى أمريـكا ، سـوف أنهى كتابى . بعد ذلك أحصل على عمل فوق سفينة وأعود الى وطنى » .

ـ « لكن ماذا ستفعل ؟ خاصة وانه لن يكون معك نقود للعيش هنـاك ؟ »

ـ « سأدخر قليلا من المـال من عملي بالسفينة ٠ وبعدها أقوم بأى عمـل ٠ فى جراج ربما ، أو سـائق شاحنـة » ٠

ـ « الا يكون ذلك مضيعة للوقت ؟ »

ـ « لا أعتقد ذلك ٠ فاذا عملت كسائق شاحنة فستكون أمامى فرصة للترحال فى أنحاء بلدى ، وفى النهايـة أود العيش فى نيويورك ، لأن بها مكتبـات عظيمـة » ٠

ـ « لكن كيف ستعيش ؟ كيف ستحصـل على نقود ؟ » ٠

ـ « من الممكن ان أشترى سـيارة أجرة ٠ ومن ثم استطيع كسـب عيشى ٠ وباقى الوقت أقضـيه فى المكتبـات » ٠

ورغم أنه كان يضحك فى تلك اللحظة ، الا أننى كنت أدرك أنه جاد فيما يقول ٠

ـ « لكننى لا أفهم لماذا لم تبق فى الهند ، يا لارى ، فقد كان من الممكن أن تكون الحياة أيسر بكثير بالنسبة لك » .

ـ « أمريكا وطنى . ومن الممكن ان يتعلم البعض سر سعادتى ، ومن ثم يقومون بتعليمها للآخرين » .

قلت له :

ـ « أعتقد أنك ستقوم بمهمة صعبة ، يا لارى ».

وقف لارى وقال .

ـ « أنا أحب المهام الصعبة . عندما تزور نيويورك ابحث عنى » .

دفعت ثمن الطعام . قاد لارى السيارة بى الى محطة السكك الحديدية . نزلت من السيارة وصافحته .

قلت :

ـ « لا تنس أن ترسل لى نسخة من كتابك » .

قال لارى :

ـ « لن انسى · وداعا ! »

لوح لى لارى بيده وقاد السيارة · أثناء انتظارى للقطار اخذت افكر فى لارى · هل هنـاك احتمـال أن أراه ثانية ؟ ربما لا · لكننى أدركت أننى لا يمكن أن انسى ذلك الرجل الغريب المثير للانتباه ·

(١٦)

أعتقد أنك قتلتها

بعد مضى عدة أيام ، بدأت رحلتى الى انجلترا· توقفت فى باريس لزيارة ايزابيل · وأخبرتها بوفاة صوفى وبما يخطط له لارى ·

كانت ايزابيل وجراى يستعدان للعودة الى أمريكا · كانا مشغولين ببيع الأثاث وحزم أمتعتهما · وسعدت عندما وجدت ايزابيل وحدها عندما وصلت ·

قالت ايزابيل :

ـ « أنا سعيدة لرؤيتك · الى أين أنت ذاهب ؟ »

ـ « انـا ذاهب الى لندن • وقـد حضرت من تولون مؤخرا » •

ـ « تولون ؟ ماذا كنت تفعل هناك ؟ »

ـ « كنت أنا ولارى هناك ، لحضـور جنـازة صـوفى » •

ـ « هل ماتت صوفى ؟ أعتقد أنها ماتت بسبب افراطها فى الشراب وتدخين الأفيون • قلت لكم انهـا امراة فاسـدة » •

ولم تبد ايزابيل أى نوع من الأسى لسماعها هذه الأخبـار •

قـلت :

ـ « كلا • هى لم تمت بسبب الشراب • لقد ذبحها أحد الأشخاص ثم ألقى بها فى البحر • وعثرت الشرطة على جثتها » •

ـ « شىء فظيع • هل توصلت الشرطة لمعرفة القـاتل ؟ »

ـ « كلا لكنني توصلت اليه · أنت التي قتلتيها يا ايزابيل » ·

ـ « أنا ؟ ماذا تعنى ؟ أنا لم أغادر باريس منذ عدة شـهور » ·

قـلت :

ـ « لقد عرفت الآن سبب هروب صوفى وعـدم زواجهـا من لارى · لقد أخبرتنى صـوفى عن زجاجة الشراب التى وجدتها فى هذه الغرفة · لقد خرجت أنت بقصد أن تبقى صوفى فى انتظارك » ·

قالت ايزابيل :

ـ « أنت تعرف السبب فى خروجى · فقد كان من الضرورى أن آخـذ احـدى الطفلتـين لطبيـب الأسـنان » ·

قـلت :

ـ « أنا لا اصـدقك · لقد خرجت لأنـك كنت تودين من صوفى ان تعود للشراب ثانية » ·

احمرت عينا ادابل من الغضب .

وقـالت :

ـ « لا بأس . لقد فعلت ذلك وكم اود أن افعله مرة ثانية . لو أن صوفى تزوجت لارى ، فقد كان من الممكن أن تحطم حياته . فهى امرأة فاسـدة . لقد تركت الزجاجة وتمنيت لو انها شربتها ».

قـلت :

ـ « أرأيت أننى على صواب . أنت قتلتيهـا بالفعـل » .

ـ « أنا سعيدة لأنها ماتت . فصوفى كانت امرأة فاسدة ، فاسدة ! » .

نظرت الى ايزابيل ، وعرفت انها كانت تخشى شيئا واحدا .

وقـالت :

ـ « لن تقول ذلك للارى . هل ستفعل ؟ » .

ـ « بالطبع لا ، لأننى لا أعتقد اننى سأقابل لارى ثانية على الاطلاق » .

سألتنى :

ـ « ماذا تعنى ؟ هل حدث للارى مكروه ؟ » .

ـ « الآن هو يعمل على ظهر سفينة فى طريقه الى نيويورك » .

قالت بارتياح كبير :

ـ « هذا عظيم . أنا وجراى على يقين باننا سنراه ثانية » .

قلت لها بهدوء :

ـ « لا أعتقد ذلك » . وحكيت لها ما قاله لى لارى فى المقهى .

عندما انتهيت لاحظت أن ايزابيل تبكى . وقالت وهى تدير وجهها بعيدا عنى :

ـ « الآن فقدته حقيقة » .

لم يكن هناك ما يمكن قوله ، فغادرت الغرفة بهدوء .

فى المرة التالية التي زرت فيها باريس كانت ايزابيل وجران قد سافرا الى أمريكا . بعثا الى بطاقة تهنئة بعيد الميلاد من مكان اقامتهما الجديد . وعرفت انهما حققا نجاحا ماليا كبيرا ، كما انهما ولاشك أقاما صداقات عديدة ، لم أرهما مرة ثانية على الاطلاق .

هذه فى الحقيقة نهاية قصتى ، اما لارى فقد ارسل لى نسخة من كتابه . كان مكتوبا بأسلوب جيد ومن السهل فهمه . وتناول فيه بعض الشخصيات المشهورة التى حققت نجاحات فى مجالات مختلفة .

أعتقد أن لارى حقق ما كان يريده . وحيثما كنت أقود سيارتى فى نيويورك ، دائما ما كنت أحملق فى وجوه سائقى سيارات الأجرة . لكن لم يكن لارى واحدا منهم على الاطلاق .

فى رأيى أن لارى لن يصبح رجلا مشهورا ، لكن ربما يكون قد ساعد بعض الناس فى العثور على

السعادة . كنت أود أن أحكى لكم قصة لارى . لكننى الآن ارى أن كتابى ليست له نهاية . أم أننى على خطـأ ؟ .

عندما أفكر فى اليوت وايزابيل وجراى وصوفى ، أرى أن اليوت مات سعيدا راضيا ، لأنه تلقى دعـوة هامة . وايزابيل أصبحت ثرية اضافة الى أنها جميلة . وجراى عمل باجتهاد وأحبه الناس . أما المسكينة صوفى فقد ماتت مبكرا ، لكن من المحتمـل أن ما حـدث لها كانت تتمنـاه .

أما عندما افكر فى لارى اتذكر مقولة من الشرق :

« ان السبيل الى السعادة الحقيقية من الصعب مواصلتـه . فهو صعب ، صعوبـة السـير على حد الموسى » .

هل نجح لارى فى السير على حد الموسى وعثر على السـعادة ؟

اعتقد أنه نجح فى ذلك .

رقم الايداع ٩٦١٢/٩٩
I S.B.N------------------------
977 - 01 - 6225 - 6

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

المعرفة حق لكل مواطن وليس للمعرفة سقف ولا حدود ولا موعد تبدأ عنده أو تنتهي إليه.. هكذا تواصل مكتبة الأسرة عامها السادس وتستمر في تقديم أزهار المعرفة للجميع. للطفل. للشاب. للأسرة كلها. تجربة مصرية خالصة يعم فيضها ويشع نورها عبر الدنيا ويشهد لها العالم بالخصوصية ومازال الحلم يخطو ويكبر ويتعاظم ومازلت أحلم بكتاب لكل مواطن ومكتبة لكل أسرة... وأني لأرى ثمار هذه التجربة يانعة مزدهرة تشهد بأن مصر كانت ومازالت وستظل وطن الفكر المتحرر والفن المبدع والحضارة المتجددة.

سوزان مبارك

مكتبة الأسرة

١٩٩٦

مهرجان القراءة للجميع

١٠٠ قرش

مهرجان القراءة للجميع
للطفل ـ الشاب ـ الأسرة
جمعية الرعاية المتكاملة